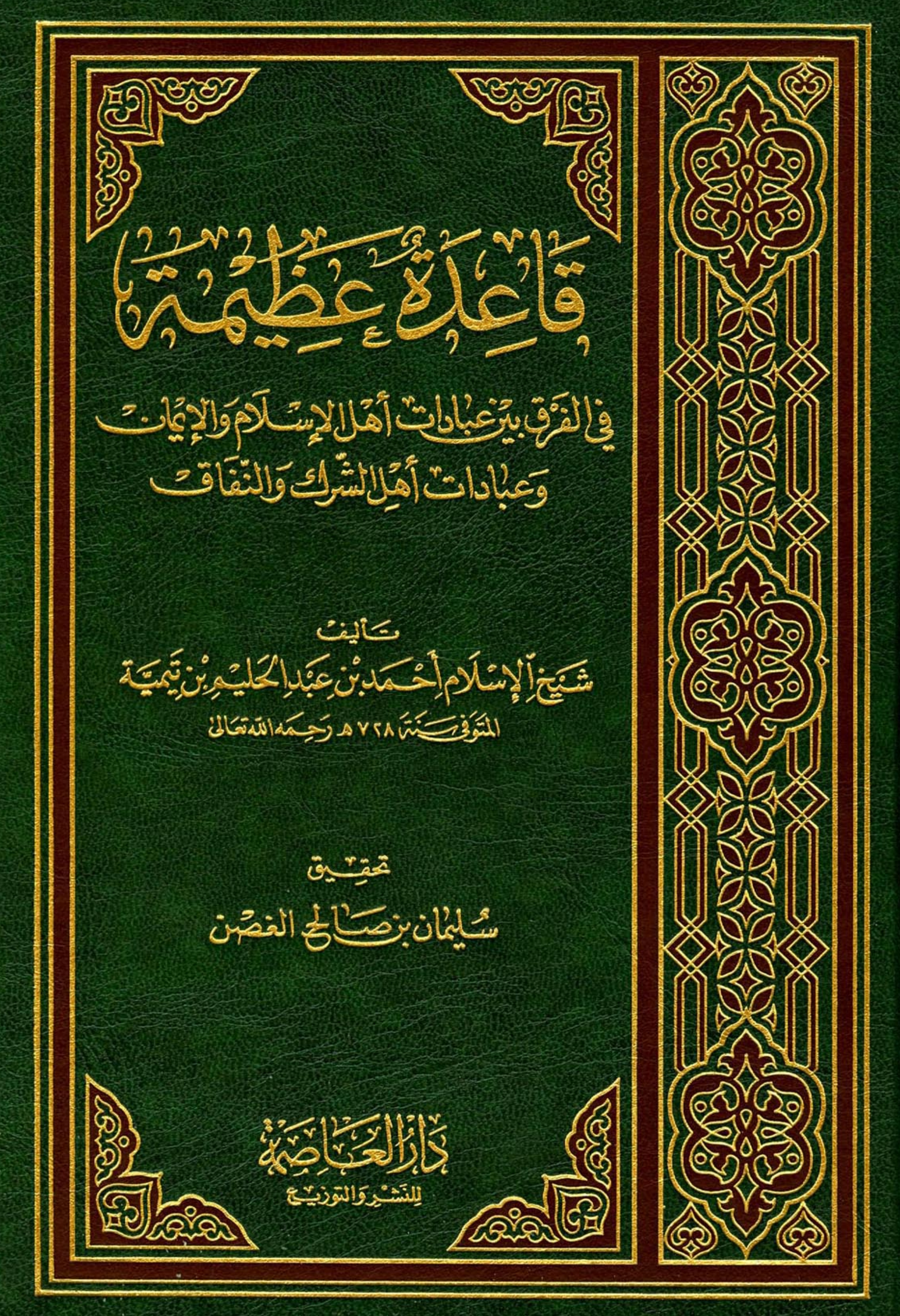

قاعدة عظيمة
في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان
وعبادات أهل الشرك والنفاق
تأليف
شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية
المتوفى سنة ٧٢٨ هـ رحمه الله تعالى
تحقيق
سليمان بن صالح الغصن
دار العاصمة
للنشر والتوزيع

قاعدة عظيمة

في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وعبادات أهل الشرك والنفاق

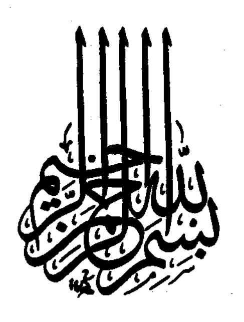
تأليف

شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية
المتوفى سنة ٧٢٨ هـ رحمه الله تعالى

تحقيق

سليمان بن صالح الغصن

دار العاصمة
للنشر والتوزيع



الطبعة الثانية
مزيدة ومنقحة
١٤١٨هـ - ١٩٩٧م

الصف والإخراج دار العاصمة للنشر والتوزيع

دار العاصمة
المملكة العربية السعودية
الرياض - ص.ب: ٤٢٥٠٧ - الرمز البريدي: ١١٥٥١
المركز الرئيسي: شارع السويدي العام
هاتف: ٤٤٩٧٢٢٤/ فاكس: ٤٤٩٧٢٢٥

المقـــدّمَة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنـا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فـلا هادي له، وأشهـد أن لا إلـه إلا الله، وحـده لا شـريك لـه، وأشهـد أن محمـداً عبـده ورسوله.

أما بعـــــد:

فإن من أنفـع ما للمسلم، وأولـى ما صرف أوقـاته بـه ـ بعـد كتاب الله وسنـة رسـولـه ﷺ ـ مطـالعـة كتـب سلف الأمـة وأئمتهـا، الـذين أخـذوا عقيدتهم من كتاب الله، وما صح عن رسـوله ﷺ، فخلصوا من فتنة الشك والشـرك، ونجـوا من ظلمـات الحيـرة والضـلال إلـى نـور الهـدى ويقين الإيمان.

وإن من أهم وأجود الكتب في هـذا الميدان: مصنفات شيخ الإسلام أحمد بـن تيمية ـ رحمـه الله ـ فلقـد آتاه الله علماً، وحفظـاً، وفقهاً، وبيـاناً، قلّمـا يوجـد في غيـره، وكان معتمـداً فيمـا يكتب على نصـوص الـوحي، فسـدده الله في أقوالـه، ورزقه الصـواب في آرائه، ولا نـدعي فيه العصمـة، ولكنها نعمة يمنّ الله بها على من يشاء من عباده.

وبسبب اعتماده على نصوص الوحي، قـام عليه بعضُ مشايخ عصره من المقلدين، والمبتدعين، مع ما صاحبهم من الهوى والحسد، ووشوا به إلى السلطـان، وزعمـوا أنـه يأتـي بـالآراء الشـاذة التي تخـالف مـا عليـه

العلماء.

وكان من أهم المسائل التي كثر حولها الكلام، على شيخ الإسلام: مسألة شدّ الرحال إلى القبور، حتى حرف كلامه، ونقل عنه ما لم يقله، وعظمت الفتنة بسبب ذلك، وخيف على الشيخ من كيد القائمين بذلك.

يقول ابن عبد الهادي في هذا:

«وأما الشيخ ـ رحمه الله ـ فكان ثابت الجأش، قوي القلب، وظهر صدق توكله واعتماده على ربه.

ولقد اجتمع جماعة معروفون بدمشق، وضربوا مشورة في حق الشيخ، فقال أحدهم: ينفَىٰ. فنفي القائل.

وقال آخر: يُقطع لسانه. فقطع لسان القائل.

وقال آخر: يُعزر. فعزر القائل.

وقال آخر: يُحبس. فحبس القائل.

أخبرني بذلك من حضر هذه المشورة وهو كاره لها.

واجتمع آخرون بمصر، وقاموا في هذه القضية قياماً عظيماً، واجتمعوا بالسلطان، وأجمعوا أمرهم على قتل الشيخ، فلم يوافقهم السلطان على ذلك» [1].

ولم يزل الوشاة يسعون بالنميمة حتى ورد مرسوم السلطان بسجن الشيخ في القلعة، فأظهر الشيخ السرور بذلك.. ثم مُنع من الفُتيا، ثم أخرج ما عنده كله، ولم يبق عنده كتاب، ولا ورقة، ولا دواة، ولا قلم، وكان

---

(١) «العقود الدرية»: ص ٣٢٨ ـ ٣٢٩.

بعد ذلك إذا كتب ورقة إلى بعض أصحابه يكتبها بفحم[1].

وقد كتب شيخ الإسلام في مسألة زيارة القبور وشد الرحال إليها كتابات كثيرة.

يقول ابن عبد الهادي:

«وله مصنفات في زيارة القبور.. والفرق بين الزيارة الشرعية والزيارة البدعيّة.. وغير ذلك، عدة مجلدات.

وله في مسألة شد الرّحال، ولوازمها ـ التي حبس ومات في السجن بسببها ـ شيء كثير، بيض منه مجلدات عديدة»[2].

وقد وقع نظري على مخطوطة لشيخ الإسلام في هذا الموضوع وعنوانها: «قاعدة عظيمة، في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان، وعبادات أهل الشرك والنفاق» ذكر فيها مسائل كثيرة: كالزيارة وشدّ الرحال، والسّلام على النبي ﷺ وأحكامه، وأنواع الشرك، وعقيدة الصحابة، وبعض أحوال وعقائد أهل البدع، وغير ذلك.

فلما قرأتها؛ رأيت أهمية تحقيقها، ونشرها، لاسيما وأنه لم يسبق أن طبعت ـ حسب اطلاعي ـ فعقدت العزم على ذلك، رغم قلة البضاعة، والله المستعان.

وصف النسخة الخطية:

هذه القاعدة حققت على نسخة وحيدة، مصورة في قسم المخطوطات في المكتبة المركزية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ورقمها (٩١٩٥/ ف) وهي مصورة عن مخطوطات القدس.

---

(١) انظر: العقود الدرية ص٣٢٩ ـ ٣٣٠، ٣٦٣.

(٢) «العقود الدرية»: ص ٣٨.

وتقع في (٧٠) ورقة، في كل صفحة (١٨) إلى (١٩) سطراً، وخطها نسخ، وهي منقوطة إلا كلمات يسيرة.

والنسخة مقابلة وعليها تعليقات، وهي قليلة الخطأ والتحريف. ويوجد بها سقط في ورقة (١١)، وبياض في ورقة (٢٦)، وقد حاولت إكماله.

وهناك بعض التعليقات في حاشية المخطوط لم تظهر في تصوير الأصل، حاولت إكمالها بالرجوع إلى المصادر الأخرى، أو بفهم السياق.

منهج التحقيق:

قمت بنسخ المخطوطة، وإصلاح ما فيها من تحريف، وإكمال ما فيها من نقص، حسب قواعد التحقيق المعلومة.

وقمتُ بعزو الآيات، وتخريج الأحاديث والآثار ما أمكن، وكان من منهجي أن أخرج الحديث أو الأثر أول وروده فقط، كما قمتُ بنسبة الأبيات، والتعريف ببعض البلدان والأعلام غير المشهورين، وأخيراً قمتُ بوضع الفهارس اللازمة.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه، وأن ينفع به، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المحقق

٣/ ٧/ ١٤١٠هـ

صور بعض الصفحات
من المخطوط

قاعدة عظيمة

في الفرق بين عبادات أهل الإسلام
والإيمان وبين عبادات أهل
الشرك والنفاق

لشيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس
أحمد بن تيمية رضي الله عنه

ملكه الفقير عبد الرحمن
المسيني غفر الله له [illegible]
سنة [illegible] هـ

بسم الله الرحمن الرحيم قال شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية رضه

الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ونشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما ○

فصل في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان والهدى والتوحيد والإخلاص والعلم والشرع المتبعين للأنبياء والمرسلين وبين عبادات أهل الشرك والنفاق والجهل والضلال والبدعة من المشركين ومن ضاهاهم من مبتدعة أهل الملل. فعبادات المسلمين مبنية على أصلين أحدهما أنهم لا يعبدون إلا الله وحده لا شريك له والثاني أنهم يعبدونه بما أمر وشرع لهم من الدين الذي بلغته رسله عنه فهم يعبدون الله لا يشركون به شيئا ويتقونه ويطيعون رسله كما أمرتهم الأنبياء بذلك قال تعالى إنا أرسلنا نوحا إلى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم قال يا قوم إني لكم نذير مبين أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون وكذلك ذكر عن نوح وهود وصالح وشعيب أنهم قالوا لقومهم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره وقال ~~كل منهم فاتقوا الله وأطيعون~~ وقال عن المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار وقال إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم

ويراد المثال الميت يأتي بعد موته فيجد له ويرد ودائع ويقضي ديونا
ثم يذهب وهو شيطان جاء في صورته والشيطان يضل البشر من الناس يمثل
هل ... تقول لغيره أنت بعد الموت تغسل نفسك أو أنت تغيث
من يأتي إلى قبرك سوال الشيخ لأصحابه لا تغسلني أحد أنا أغسل نفسي ويرون
بعد الموت أنه قد جاء في صورته وغسل نفسه فيظنون أنه هو وإنما هو الشيطان
وهذا باب واسع قد بسط في مواضع ومن لم يفرق بين أولياء الرحمان
وأولياء الشيطان فما عرف حقيقة الإيمان والله يقول الحق وهو
يهدي السبيل ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور وأنفع ما
للإنسان الاعتصام بالكتاب والسنة فإن السنة مثل سفينة نوح
من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق ثم إن رزقه الله بصيرة وكشف
له الحقائق تبين له بصائر الإيمان وحقائقه ما يصدق الشريعة الطاهرة
وإن الله هدى الخلق بمحمد صلى الله عليه وسلم إلى الصراط المستقيم وأخرجهم
به من الظلمات إلى النور وفرق به بين الهدى والضلال والغي والرشاد
والحق والباطل وطريق الجنة وطريق النار وبين أوليائه وأعدائه فصلى الله
عليه وعلى آله وسلم تسليما وجزاه عنا أفضل ما جزى نبيا عن أمته من رسل
إليه وإن لم تنكشف له الحقائق الباطنة كفاه اعتصامه بالشريعة الطاهرة
وحصل له النجاة ونال من السعادة بقدر ما اتبع فيه الرسول قالت
الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان
في قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا إن الله غفور رحيم
إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم
وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون ٥ والله أعلم

[illegible]

ذا الكتاب المسايرة في العقائد
المنجية في الآخرة أو [illegible]

[illegible] الحلوني [illegible]

ويليه كتاب يسمى [illegible]
للشيخ محيي الدين النووي
رحمه الله برحمته الواسعة
[illegible]

الحمد لله رب العالمين والعاقبة
والصلاة على سيدنا محمد وآله و
صحبه أجمعين وسلم ورضي الله تعالى
عن بقية الصحابة والمقربين
أجمعين أما بعد [illegible]
هذا [illegible]
[illegible]
كريم الدين الشيخ [illegible]
[illegible] الخلوتي [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

/ قال شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية رضي الله عنه: ٢/

الحمد لله نستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً.

«فصـــــل»

في الفـرق بين عبادات أهـل الإسلام، والإيمـان، والهدى، والتـوحيد، والإخلاص، والعلم، والشرع، المتبعين للأنبيـاء والمرسلين، وبين عبادات أهل الشـرك، والنفاق، والجهل، والضلال، والبـدعة، من المشـركين، ومن ضاهاهم، من مبتدعة أهل الملل.

فعبادات المسلمين مبنية على أصلين: العبادة مبنية على أصلين

أحدهما: أنهم لا يعبدون إلا الله وحده لا شريك له.

والثاني: أنهم يعبدونه بما أمر وشرع لهم من الدين الذي بلغته رسله عنه.

فهم يعبـدون الله، لا يشركـون بـه شيئاً، ويتقـونه، ويطيعـون رسله كمـا أمرتهم الأنبياء بذلك.

قال تعـالى: ﴿إنـا أرسَلْنَا نُـوْحاً إلى قَـوْمِهِ أنْ أنـذِرْ قَوْمَـكَ مِن قَبْلِ أنْ يَأتِيَهُمْ عَـذَابٌ ألِيْمٌ. قَالَ يَـا قَوْم إنّي لَكُمْ نَـذِيْرٌ مبينٌ. أن اعْبُـدُواْ الله وَاتقُوهُ وَأطِيْعُونِ﴾ [نوح: ١ ـ ٣].

وكذلك ذكر عن هود وصالحٍ وشعيـبٍ أنهم قالوا لقومهم: ﴿اعْبُدُواْ الله مَا لَكُمْ مّن إلهٍ غَيْرُهُ﴾ [هود: ٥٠].

وقال عـن المسيح: ﴿يَا بَنِـي إسرائيْلَ اعبُـدُواْ الله رَبّي وَرَبّكُمْ إنّـهُ مَن يُشْرِكْ بـالله فَقَدْ حَرّمَ الله عَلَيْهِ الجَنّـةَ وَمَأْوَاهُ النّارُ وَمَا لِلظّالِمِيْـنَ مِن أنصَارٍ﴾ [المـائدة: ٧٢]، وقـال: ﴿وَإنّ الله رَبّـي وَرَبّكُمْ فَـاعْبُـدُوهُ هـذا صِـرَاطٌ مستقيمٌ﴾ [مريم: ٣٦].

وكل من الرسل يقول: ﴿فَاتقُواْ الله وَأَطِيْعُونِ﴾ [الشعراء: ١٠٨].

وقال عن أمة محمدٍ ﷺ: ﴿ويَقُولُونَ آمنّا بِاللهِ وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين﴾ [النور: ٤٧][1]، ﴿إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون. ومن يُطِعِ الله وَرَسُولهُ وَيَخْشَ الله ويتقهِ فأولئك هم الفائزون﴾ [النور: ٥١ ـ ٥٢] فجعل الطاعة لله والرسول، وجعل الخشية والتقوى لله وحده.

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أنهمْ رَضُواْ مَا آتَاهُمُ الله وَرَسُولهُ وَقَالُواْ حَسْبُنَا الله سَيُؤْتِيْنَا الله مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إنّا إلى الله رَاغبونَ﴾ [التوبة: ٥٩] فجعل الإيتاء لله ورسوله.

كما قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عنْهُ فَانْتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧][2] إذ كان الحلال ما حلّله الله ورسوله، والحرام ما حرمه الله ورسوله، والدين ما شرعه الله ورسوله.

وجعل الحسب لله وحده، والرغبة إلى الله وحده، كما قال تعالى: ﴿قُلْ حَسْبِيَ الله عَلَيْهِ يَتَوَكلُ المُتَوَكلُونَ﴾ [الزمر: ٣٨]، وقال: ﴿فَإِنْ تَوَلوْا فَقُلْ حَسْبي الله لا إلهَ إلا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكلتُ وهوَ ربُّ العرشِ العَظيْم﴾ [التوبة: ١٢٩]، وقال: ﴿وَإنْ يُريْدُوا أنْ يخدعُوكَ فَإن حَسْبَكَ الله﴾ [الأنفال: ٦٢]، وقال: ﴿الذين قال لهم الناسُ إن الناسَ قد جَمَعُوا لكم فاخشوهم فَزَادَهُم إيماناً وقالوا حَسْبُنَا الله ونعم

---

(١) «من» ساقط من الأصل.

(٢) في الأصل «ما آتاكم».

الوكيـــل﴾ [آل عمران: ١٧٣].

فالله وحده هو حسـب الرسول وجميع المؤمنين، كما قـال تعالى: ﴿يا أيها النبيُّ حَسْبُـكَ الله ومَنْ اتَّبعكَ مِنَ المؤمنينَ﴾ [الأنفـال: ٦٤] أي: هو وحده يكفيك، ويكفـي من اتبعك. هذا معنى الآيـة عند جماهيـر السلف والخلف.

وقولـه: (ومن اتبعك) معطوف على محـل الكاف وهو منصـوب، كما تقول العرب: حسبك وزيداً درهم.

وقال الشاعر:

....

فحسبـك والضحـاك سيـف مهنـد[1]

٣/ / وهذا هـو دين الإسلام الـذي لا يقبل الله ديناً غيـره، لا من الأولين ولا الآخريـن، وهو أن يعبـد الله في كل وقتٍ بمـا أمر به فـي ذلك الوقـت، فهو المعبود وحده دائماً.

قـال الله تعالى: ﴿وَقَـالَ الله لا تَتّخِذُواْ إِلَهَيْـنِ اثْنَيْنِ إِنّمَا هُـوَ إِلهٌ وَاحِـدٌ فَإِيّاىَ فَـارْهَبُونِ. وَلَهُ مَا فِـي السّمـواتِ وَالأرْضِ وَلَهُ الدّيْن وَاصِبـاً أفَغَيْرَ الله تَتّقُـون﴾ [النحـل: ٥١ ــ ٥٢] وواصبـاً أي: دائمـاً. هكـذا قـال جمهـور المفسرين واللّغويين.

ثـم قـــال: ﴿أفَغَيْـرَ الله تَتّقُـونَ. وَمَـا بكُمْ مِن نّعْمَـةٍ فَمِـنَ الله ثُمّ إِذَا مَسّكُـــــمُ الضـر فَإِليْهِ تَجْأرُونَ. ثُمّ إذا كَشَفَ الضر عَنكُمْ إِذَا فَرِيْقٌ مّنكُـمْ

---

(١) هذا عجـز بيت، وصدره «إذا كانت الهيجـاء وانشقت العصا» كما ذكره ابـن القيم، وذكر الكلام حول الآية السابقة في «زاد المعاد»: (١/ ٣٥ ـ ٣٦) والبيت ذكره كثير من العلماء ولم أجد من نسبه.

بِرَبهِمْ يُشْـرِكُونَ. لِيَكْفرُواْ بِمَـا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتّعُواْ فَسَـوْفَ تَعْلمُـونَ﴾ [النحل: ٥٢ - ٥٥].

الشرائع تتنوع

لكـن قـد تتنـوع الشـرائع كمـا كـان النبي ﷺ يصلـي أولاً إلى بيـت المقدس، قبل الهجرة وبعـد الهجرة بضعة عشر شهراً، ثم حـوّله الله، فأمره أن يصلي إلى الكعبة[1]، فتنوعت الشريعة، وفي كلا الحالين الدين واحد، وهو دين الإسلام، عبادة الله وحده لا شريك له.

وفي الصحيحيـن عن النبي ﷺ أنـه قـال: «إنّا معـاشـر الأنبياء ديننـا واحد، الأنبياء إخوة لعلات»[2] يعني: دينهم واحد وإن تنوعت شرائعهم.

قال تعـالى: ﴿شَـرَعَ لَكُمْ مّن الـدّيْنِ مَا وَصّـى بِه نُـوحاً وَالـذِي أَوْحَيْنَا إليكَ وَمَا وَصّيْنَـا بِهِ إبْرَاهِيْمَ وَمُوْسَـى وَعِيْسَى أنْ أقيْمُواْ الدّيْنَ وَلا تَفـرّقُواْ فِيْهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِيْنَ مَا تَدْعُوْهُمْ إليْهِ﴾ [الشورى: ١٣].

وقال تعـالى: ﴿فَأقِمْ وَجْهَـكَ للدّين حَنيْفـاً فِطْرَةَ الله التِي فَطَـرَ النّاسَ عَلْيها لا تبـدْيلَ لِخَلْقِ الله ذَلِـكَ الدينُ الْقَيّمُ وَلَكِـن أكثرَ النّـاسِ لا يَعْلمُونَ. مُنيبِيْنَ إليْهِ وَاتّقُوهُ وَأقِيْمُواْ الصّلاةَ وَلا تكونُوا مِنَ المُشْركينَ. مِنَ الذيْنَ فرّقُواْ دِيْنَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعاً كُل حِزْبٍ بِمَا لَدَيهمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣٠ ـ ٣٢].

وقال تعالـى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُـواْ مِن الطيباتِ وَاعْمَلُواْ صَـالحَاً إني بِمَا تَعْمَلـون عَليْم وإنّ هذِهِ أمّتكم أمة وَاحِـدَة وَأنَا رَبُّكُمْ فَاتقُـونِ. فَتَقَطعُواْ أمرَهُمْ بينهمْ زُبُراً كُل حزبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥١ ـ ٥٣].

---

(١) رواه مسلم في كتاب المساجد: (١/ ٣٧٤).

(٢) رواه بنحـوه البخاري في كتـاب الأنبياء، بـاب (واذكر فـي الكتاب مـريم): (٤/ ١٤٢)، ومسلم في كتاب الفضائل: (٤/ ١٨٣٧).

وكذلك قال في حق الأنبياء: ﴿إنّ هذهِ أمّتُكُمْ أمّةً وَاحِدَة وَأنا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢] والأمة قد فسروها بالملة والدّين، أي: ملتكم ودينكم واحد، كقوله تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا إنّا وَجَدْنَا آبَاءنا على أمةٍ وَإنّا عَلى آثارهمْ مهْتَدُون. وَكَذلِكَ مَا أرسَلنا مِن قبلكَ في قَريةٍ من نَذِيْرٍ إلا قَالَ مُترَفُوهَا إنّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أمةٍ وَإنّا عَلَى آثَارهمْ مقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٢ ـ ٢٣].

وإذا قيل: المراد به الناس، فالمعنى واحد، أي: ادعوا جميع الناس إلى عبادة الله وحده، كما قال تعالى: ﴿أنْ أقِيْمُواْ الدّيْنَ وَلا تَتَفَرّقُواْ فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣]. [و][1] قال تعالى: ﴿وَمَا أرْسَلنَا مِن قَبْلِكَ مِن رسول إلا نُوْحِي إليهِ أنّهُ لا إلهَ إلا أنَا فَاعبُدُوْن﴾ [الأنبياء: ٢٥] وقال تعالى: ﴿وَاسْأَلْ من أرْسَلْنَا منْ قَبْلِكَ مِن رسُلِنَا أجَعَلْنَا مِن دُون الرحمنِ آلِهَةً يُعبدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثنَا في كلّ أمةٍ رسُوْلاً أن اعْبدُواْ الله واجْتَنِبُوا الطاغُوت﴾ [النحل: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿يُنزلُ الملائكةَ بالروحِ من أمرهِ عَلَى من يشاء من عِبَادِهِ أنْ أنْذِرُوا أنّه لا إله إلا أنَا فَاتّقُون﴾ [النحل: ٢].

كل الأنبياء كانوا على الإسلام

وكل الأنبياء كانوا على الإسلام، كما ذكر الله عن نوح أنه قال: ﴿فإنْ تَوَلّيْتُمْ فمَا سَألْتُكُمْ من أجرٍ إن أجريَ إلا عَلَى الله وَأمرتُ أن أكُونَ مِنَ المُسْلِميْنَ﴾ [يونس: ٧٢].

٤ / / وقال عن الخليل: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَنْ ملّةِ إبْراهيْمَ إلا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَد اصطَفَيْنَاهُ في الدنيَا وَإنّهُ في الآخرةِ لَمِنَ الصالِحينَ. إذْ قَالَ لهُ رَبهُ أسلمْ قَالَ أسلَمتُ لربّ العَالَمِينَ. وَوَصّى بِهَا إبراهِيْمُ بَنِيْه وَيَعْقُوب يَابَنيّ إن الله اصْطَفَى لكُم الدّيْنَ فَلا تَمُوتنّ إلا وأنْتُمْ مُسْلِمُون﴾ [البقرة: ١٣٠ ـ ١٣٢].

---

(١) الواو ليست موجودة في الأصل.

وقال إبراهيم وإسماعيل: ﴿رَبّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْن لَكَ وَمِن ذُرّيّتنَا أمةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ [البقرة: ١٢٨].

وقال عن موسي: ﴿يَا قَوْم إن كُنتُم آمَنتُمْ بالله فَعَلَيْهِ تَوَكلوْا إنْ كُنتُمْ مسْلِمينَ﴾ [يونس: ٨٤].

وقال تعالى عن السحرة الذين آمنوا بموسى إنهم قالوا: ﴿رَبّنا أفرغ علينَا صبراً وتَوفنَا مُسلمينَ﴾ [الأعراف: ١٢٦].

وقال: ﴿إنّا أنزلنَا التوْراة فيهَا هُدًى ونُور يَحْكُم بهَا النبيونَ الذين أسلمُوا للذينَ هَادواْ﴾ [المائدة: ٤٤].

وقال يوسف الصديق: ﴿تَوَفني مُسْلِماً وألحقني بالصالحيْنَ﴾ [يوسف: ١٠١].

وقالت بلقيس: ﴿إنّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأسلمتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لله ربّ العَالميْنَ﴾ [النمل: ٤٤].

وقال عن أتباع المسيح: ﴿وَإذْ أوْحَيْتُ إلى الحَوَاريينَ أن آمِنُوا بي وَبِرسُولي قالواْ آمنا وَاشْهَدْ بأننَا مُسلمون﴾ [المائدة: ١١١].

وقال تعالى: ﴿شَهِدَ الله أنَهُ لا إلهَ إلا هُوَ والملائكَةُ وَأوْلُواْ الْعِلْم قَائماً بالقِسْطِ لا إلهَ إلا هُو العَزِيزُ الحكيمُ. إنّ الديْنَ عندَ الله الإسلام﴾ [آل عمران: ١٨، ١٩].

قال قتادة في قوله تعالى: ﴿إنّ الدينَ عندَ الله الإسلام﴾ قال: شهادة أن لا إله إلا الله، والإقرار بما جاء من عند الله، وهو دين الله الذي شرع لنفسه، وبعث به رسله، ودل عليه أولياءه، ولا يقبل غيره، ولا يجزي إلا به.

ذم شرائع الخلق التي لم ينزلها الله

وقد ذم في كتابه من شرع ديناً لم ينزله، أو حلل أو حرم بغير وحي من الله، فقال تعالي: ﴿أمْ لَهُمْ شُرَكَاء شَرَعُواْ لهُمْ منَ الدّيْنِ مَا لَمْ يَأذَنْ به الله﴾ [الشورى: ٢١].

وذم المشركين على أنهم حرموا ما لم يحرمه، وأحلوا ما حرمه، وشرعوا ديناً لم ينزله، كما ذكر ذلك في سورة الأنعام والأعراف وغيرهما.

فقال تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُواْ وجَدْنَا عليها آباءنَا والله أمرنَا بِهَا قُل إنّ الله لا يَأمُرُ بالفحشاء أتَقُوْلُوْنَ عَلَى الله ما لا تَعْلَمُونَ. قُلْ أمَرَ رَبي بالقسطِ وَأقيمواْ وجُوْهَكم عندَ كُل مسجدٍ وادعوهُ مُخْلصينَ لهُ الدين﴾ [الأعراف: ٢٨ ـ ٢٩].

وقال تعالي: ﴿قُلْ مَن حَرّمَ زِيْنَةَ الله التي أخرجَ لعبادِهِ والطيّبَاتِ منَ الرزقِ قُلْ هي للذين آمنواْ في الحياةِ الدُّنيا خَالصةً يوْم القيامةِ كذلكُ نُفَصّلُ الآياتِ لِقَومٍ يَعْلمُون. قُلْ إنما حَرّمَ رَبي الفوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالبَغْيَ بغير الحق وَأنْ تُشْركُوا بالله مَا لَمْ يُنزّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأنْ تَقُولُواْ على الله مَا لا تَعْلمونَ﴾ [الأعراف: ٣٢ ـ ٣٣].

وقد قال في أول السورة: ﴿المص. كِتَابٌ أنزلَ إليْكَ فَلا يَكُنْ في صدركَ حَرَجٌ منهُ لتنْذرَ بِهِ وَذِكْرى للمؤمنينَ. اتّبعُوا مَا أنزلَ إليكُمْ من رّبكُمْ ولا تَتّبِعُواْ من دونهِ أولياء قليلاً مّا تَذَكرونَ﴾ [الأعراف: ١ ـ ٣].

«فصـــــــــل»

وأما دين أهـل الشرك، ومبتدعة أهـل الكتاب، فهو دين لم ينـزل الله به سلطـاناً، إمـا أن يدعـوا مع الله غيـره من المخلوقـات، أو يقولـوا[1]: إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى، ويقولون: هؤلاء شفعاؤنا عند الله. دين أهل الشرك

وإما أن يعبدوه بغير ما أمر وشرع، ممـا شرعه لهم شركاؤهم، أي الذين جعلوهم شركاء لله.

٥ / / كمـا قال تعـالى: ﴿اتّخَـذُوا أحْبَارَهُـمْ وَرُهْبَانَهُم أرْبَـابـاً من دون الله والْمَسِيْح ابن مريم وَمَا أمروا إلا لِيعبُدوا إلهاً واحداً لا إلهَ إلا هُوَ سُبحانهُ عَمّا يُشركونَ﴾ [التوبة: ٣١].

وقال تعـالى: ﴿مَا كَـان لِبشر أن يُؤتيـهُ الله الكتابَ وَالْحُكمَ والنبُـوةَ ثم يَقُـولَ للناسِ كـونوا عِبَـاداً لي من دُونِ الله ولكنْ كُـونُوا ربّـانيينَ بمَـا كُنتمْ تُعَلِّمُـونَ الكِتَـاب وَبمَا كُنتـم تَدرُسـونَ وَلا يَـأمركُـمْ أن تتخذواْ المـلائكـة والنبيين أربـاباً أيأمـركم بالكفـر بعدَ إذْ أنْتمْ مسلمـونَ﴾ [آل عمران: ٧٩ ـ ٨٠].

وقال تعـالى: ﴿قُلْ ادْعُـوا الذين زَعَمتُم مـن دونهِ فلا يَمْلِكُـونَ كَشْفَ الضرّ عَنكُـمْ وَلا تَحْويـلاً. أولئكَ الذين يَـدْعُونَ يَبْتَغُـونَ إلى رَبّهِمُ الـوَسِيْلَةَ أيهُمْ أقربُ وَيرجُونَ رحمتَهُ وَيَخافُـونَ عَذابهُ إن عَذَابَ رَبكَ كانَ مَحذُوراً﴾ [الإسراء: ٥٦ ـ ٥٧]. أي: الذين يدعـوهم المشركون هم يبتغون إلى ربهم

---

(١) في الأصل: «يقولون».

الوسيلة[1].

قال ابن عباس ومجاهد: هم عيسى وأمه وعزير والملائكة والشمس والقمر النجوم[2].

وقال ابن مسعود: كان ناسٌ من الإنس يعبدون نفراً من الجن فأسلم الجنيون، ولم يعلم الإنس الذين كانوا يعبدونهم بإسلامهم فتمسكوا بعبادتهم فعيَّرهم الله [2].

وعلى كل قول ذم سبحانه من يدعو مخلوقاً وذلك المخلوق يعبد الله [و][3] يتقرب إليه، ويرجوه، ويخافه، فدخل في هذا جميع الملائكة، والأنبياء، والصالحون من الإنس والجن.

فإذا كان المخلوق المعظم المقرب عند الله لا يجوز أن يدعى، فالعصاة لله من شياطين الإنس والجن أولى ألا يدعوا، فقد تضمنت الآية ذم من يدعو غير الله مطلقاً.

المخلوق لا يملك الضر ولا النفع

وبين أن ذلك المدعو لا يملك كشف الضر عنه ولا تحويله من موضع إلى موضع، وقال تعالي: ﴿قُلْ ادْعُواْ الذينَ زَعَمْتُم من دُوْنِ الله لا يمْلِكُونَ مثْقَالَ ذَرّةٍ في السمَوَاتِ وَلا في الأرْضِ وَمَا لَهمْ فِيْهِمَا مِن شِرْك وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مّن ظَهيرٍ وَلا تَنْفعُ الشفاعةُ عندَهُ إلا لمَن أذنَ لَهُ﴾ [سبأ: ٢٢ ـ ٢٣] فبين تعالى أن المخلوق ليس له ملك، ولا شرك في الملك، ولا هو معين لله، ولكن غاية ما عنده الشفاعة، والشفاعة لا تنفع إلا لمن أذن له.

وقال تعالى: ﴿وَيَعبدُونَ من دُونِ الله مَا لا يَضرُّهُمْ وَلا ينفعُهمْ وَيقُولُون

(١) في الأصل زيادة «أيهم أقرب» وقد ضرب عليها.

(٢) انظر «الدر المنثور»: (٤/ ١٨٩ ـ ١٩٠).

(٣) الواو ليست موجودة في الأصل.

هَـؤلاء شُفَعَاؤنـا عنـد الله قُلْ أتنبئـونَ الله بمَا لا يَعلـمُ في السمَـوَات ولا في الأرضِ سُبحانهُ وَتعَالى عمّا يُشْركُون﴾ [يونس: ١٨].

وقال تعالى: ﴿وَأنذِرْ بهِ الذيـن يَخَافُونَ أن يُحشرُوا إلى ربّهِمْ لَيسَ لهُمْ من دُوْنهِ وَليٌّ وَلا شَفيعٌ﴾ [الأنعام: ٥١].

وقال تعـالى: ﴿وَذَكـرْ بهِ أنْ تُبْسَلَ نفسٌ بمَـا كَسَبتْ ليسَ لهَـا من دُونِ الله وليٌّ ولا شَفيعٌ﴾ [الأنعام: ٧٠].

وقال تعـالى: ﴿الله الذي خلقَ السمـواتِ والأرَض ومَا بينهُمَا فـي ستةِ أيـامٍ ثمّ استـوى عَلَـى العرشِ مَـا لكُـمْ من دونـهِ منْ ولـيٍ وَلا شَفيعٍ أفـلا تتذكرونَ﴾ [السجدة: ٤].

وقـال تعالى: ﴿إنّ رَبكُـمُ الله الذي خَلَـقَ السموَاتِ والأرَض في ستـةِ أيامٍ ثمَّ استـوى على العرشِ يُدبرُ الأمـر مَا من شفيعٍ إلا من بعـد إذنهِ ذلكم الله ربكمْ فاعبدُوهُ أفلا تذكرُون﴾ [يونس: ٣].

وقال تعالى: ﴿مَن ذَا الذي يَشفعُ عندهُ إلاّ بإذنهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقال: ﴿وَكَـم من مَلكٍ في السمـواتِ لا تغني شَفَاعَتُهُمْ شَيئـاً إلا مِنْ بَعْدِ أنْ يأذن الله لِمَنْ يَشاء وَيَرْضى﴾ [النجم: ٢٦]. ٦/

«فصـــــــل»

الضلال يدعون إلى دين مجهول

والضُلاَّل يـدعون إلى ديـن مجهول، ليس معهـم به سلطان منـزل من الله.

قـال تعالـى: ﴿قُلْ إنمَا حَـرمَ رَبي الفـواحشَ مَـا ظَهرَ منهَـا وَمَـا بَطَنَ وَالإِثمَ والبغْيَ بغير الحـق وأن تُشركوا بالله مَا لـم يُنزل بِهِ سُلْطَانـاً وَأنْ تَقُولُوا على الله مَا لاَ تعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

وقـال تعالـى: ﴿وَيَجعلونَ لِمَـا لا يعْلَمُـون نَصيبـاً مِما رَزقنـاهُمْ تَـالله لَتُسْألنّ عَمّا كُنتمْ تَفترَونَ﴾ [النحل: ٥٦].

وقال تعالى عن مـؤمن آل فرعون: ﴿وَيَا قَوم مَا لـي أدْعُوكم إلى النجَاةِ وتدعونني إلى النّارِ. تَدعُونني لأكفُرَ بـالله وأشركَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بهِ عِلْمٌ وَأنَا أدْعوكُم إلى العَزِيْزِ الغفارِ. لاجَرَمَ أنّمَا تَـدْعُونَنِي إليهِ ليْسَ لهُ دَعوة في الدُّنيا وَلا في الآخرة وَأن مَردنَـا إلى الله وأن المُسرفينَ هُم أصحابُ النـارِ﴾ [غافر: ٤١ ـ ٤٣].

وقال تعـالى: ﴿وَيَعْبُدون من دون الله مَـا لم ينزل بـهِ سُلطاناً وَمَـا ليسَ لهُم به علمٌ وَمَا لِلظالمينَ منْ نصيـر﴾ [الحج: ٧١] والسلطان: هو الوحي المنزل من الله.

قـال تعـالى: ﴿أمْ أنـزلنَـا عليهم سُلطـانـاً فهـويتكلم بمَـا كَـانـواْ بِـه يُشركـونَ﴾ [الروم: ٣٥] وقـال تعالى: ﴿إنْ هـي إلا أسماء سَمّيتُمُوهَـا أنْتُمْ وَآبَاؤكُم مَا أنزلَ الله بهَا مِنْ سُلطَانٍ﴾ [النجم: ٢٣].

والدين الذي نـزل به الوحي هو الدين الذي شـرعه الله عزّ وجلّ، وأهل الضلال يتبعون ديناً ليس موافقاً للشـرع المنزل، ولا لهم به علم، بل يتبعون

أهواءهم وما يذوقونه ويجدونه في أنفسهم، بغير شرع ولا علم.

شيوخ أهل المعرفة يوصون باتباع الشرع والعلم

ولهذا كان شيوخ أهل المعرفة يوصون باتباع الشرع والعلم، ويذمّون أهل العبادات الذين لا يتبعون الشرع والعلم، كما قال [تعالى][1]: ﴿وَيَعْبُدُونَ من دُون الله ما لَمْ يُنزلْ بِهِ سُلْطَاناً وَمَا ليسَ لهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظالمينَ من نصير﴾ [الحج: ٧١].

ولهذا طالب الله أهل الضلال بالعلم والسلطان، فقال تعالى: ﴿ءآلذكَرَين حَرَّمَ أم الأنثيين أمَّا اشتملتْ عليهِ أرْحامُ الأنثيينِ نَبئوني بعلمٍ إن كُنتم صادقينَ﴾ [الأنعام: ١٤٣] فبين أن الصادق يكون معه علم بما قاله، فمن لا علم عنده فهو مفتر للكذب على الله.

وقال تعالى: ﴿قُل أرأيتم ما أنزلَ الله لكمْ من رزقٍ فجعلتمْ منهُ حراماً وحلالاً قُلْ آلله أذِنَ لَكُمْ أمْ عَلى الله تَفْترون﴾ [يونس: ٥٩].

وقال تعالى: ﴿وَلا تَقولُوا لِمَا تصفُ ألسنتكمُ الكذبَ هذا حَلالٌ وهذا حرامٌ لتفتروا على الله الكذبَ إنّ الذين يَفترونَ على الله الكذبَ لا يُفْلحونَ﴾ [النحل: ١١٦].

وقال تعالى: ﴿يَا أيُّها الناسُ كُلُوا مِمّا في الأرضِ حلالاً طيباً ولا تتبعُوا خُطُواتِ الشيطانِ إنهُ لكمْ عدوٌّ مُّبينٌ إنما يأمُرُكم بالسوءِ والفحْشَاء وأن تقولوا على الله مَا لا تَعلمُونَ﴾ [البقرة: ١٦٨ ـ ١٦٩].

وقال تعالى: ﴿يَا أهل الكتابِ لا تغلواْ في دينكُمْ وَلا تَقُولوا على الله إلا الحق﴾ [النساء: ١٧١].

وقال: ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرثُواْ الكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هذا

---

(١) ليست موجودة في الأصل.

الأدنى وَيَقُوْلونَ سيُغفـرُ لنَا وإن يأتهم عَرَض مثْلهُ يأخذوهُ ألـمْ يُؤخذ عليهمْ ميثاقُ الكتـابِ أن لا يقُولُـوا على الله إلا الحقّ وَدَرَسُوا مَـا فيهِ والـدارُ الآخرةُ خيرٌ للذيـن يتقونَ أفلا تعقلونَ. وَالذيـنَ يُمَسّكُونَ بالكتابِ وأقـامُوا الصلاةَ إنّا لا نُضيعُ أجرَ المُصلحينَ﴾ [الأعراف: ١٦٩ ـ ١٧٠].

□ □ □

٧/

/ «فصـــــل»

والـذين يروون الحـديث عـن النبي ﷺ نـوعان: ثقـات، وغير ثقـات، وهؤلاء منهم من يتعمـد الكذب، وأكثرهم لا يتعمدون الكـذب، لكن يؤتى أحدهم من سوء حفظه، والعلماء تكلمـوا في هؤلاء، وهؤلاء؛ حفظاً للدين من الزيادة والنقصان.

رواة الحـديـث نوعان

وكذلك الذين تكلموا بـرأيهـم، ونظرهـم، وفهمهم، وذوقهم، ووجدهـم، وكلامهم نوعان:

كـــلام أهــل الرأي والـذوق نوعان

فما وافق فيه الرسول فهو حق، ومـا خالفه فهو خطأ، وأكثرهم لم يتعمد الخطأ، بـل غلط، ومنهم من يتعمـد قـول غير الحـق، مع علمه بـأنه غيـر الحق.

«فصـــــل»

أفضل الخلق بعد الأنبياء الصحابة

وأفضل الخلق بعد الأنبياء، وأكملهم علماً، وديناً، واعتصاماً بحبل الله، واتباعاً لدين الإسلام الذي بعث الله به رسله، هم أصحاب رسول الله ﷺ.

فإن أمة محمد ﷺ خير الأمم، وهم خير أمة محمد ﷺ، كما ثبت في الصحاح من غير وجه عن النبي ﷺ أنه قال: «خير القرون القرن الذي بعثت فيهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»[1].

وقد أخبر سبحانه أنه رضي عن السابقين الأولين، ورضي عن الذين اتبعوهم إذا اتبعوهم بإحسان.

فقال تعالى: ﴿والسابقُونَ الأولونَ منَ المُهاجرينَ والأنصَارِ والذينَ اتبعُوهُمْ بإحسان رضيَ الله عنهمْ وَرَضواْ عنهُ وأعدّ لهُمْ جَناتٍ تجري تحتَهَا الأنهار خَالدين فيهَا أبداً ذَلكَ الفوزُ العظيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وهؤلاء السابقون هم الذين بايعوا تحت الشجرة، وهم الذين أنفقوا من [قبل][2]، وقاتلوا قبل الفتح، والفتح هو الحديبية، كما قال تعالى: ﴿لا يَسْتوي منكُمْ منْ أنفقَ منْ قبلِ الفتحِ وقاتلَ أولئكَ أعظم دَرَجة من

---

(١) رواه بنحوه البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، الباب الأول: (٤/ ١٨٩)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة: (٤/ ١٩٦٤).

(٢) في الأصل: «بعد»، ولعل الصواب ما أثبته.

الذين أنفقُواْ مِن بعدُ وَقَاتلواْ وَكُلاًّ وَعَدَ الله الحُسْنى﴾ [الحديد: ١٠].

وقد ثبت في صحيح مسلم عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يدخل النار أحدٌ بايع تحت الشجرة»[١]. وفي الصحيحين عن جابر قال: قال لنا رسول الله ﷺ يوم الحديبية: «أنتم خير أهل الأرض» وكنا ألفاً وأربعمائة، ولو كنت أبصر اليوم لأريتكم مكان الشجرة[٢]. وقد وعد الله هؤلاء ومن تبعهم بالحسنى.

عقيدة الصحابة رضي الله عنهم

وكانت طريقة أصحاب محمد ﷺ أنهم يعبدون الله وحده بما أمرهم به نبيهم؛ فالحلال عندهم ما حلله، والحرام ما حرمه، والدين ما شرعه، يصلون الصلوات الخمس كما أمر الله في مواقيتها جماعة في المساجد، ويصومون شهر رمضان، ويحجون البيت العتيق، ويؤدون الزكاة، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويجاهدون في سبيل الله، ويعبدون الله بسائر ما أمرهم به نبيهم، ولا يعبدون إلا الله، ولا يدعون غير الله، لا/ مما في السماء، ولا مما في الأرض، ولا الملائكة، ولا الكواكب، ولا الأنبياء، ولا تماثيلهم، بل قد علموا أن هذا كله من الشرك الذي حرمه الله ورسوله. /٨

ولا يدعون مخلوقاً، لا ملكاً، ولا جنياً، ولا بشراً، لا نبياً ولا غير نبي، لا عند قبره، ولا في مغيبه، ولا يستعينون إلا بالله، ولا يستنصرون إلا بالله، ولا يتوكلون إلا على الله، ولا يدعون مخلوقاً غائباً، ولا ميتاً، ولا يستغيثون به، ولا يشكون إليه، ولا يطلبون منه مغفرة، ولا هدى، ولا نصراً، بل يطلبون هذا كله

(١) رواه بنحوه مسلم في كتاب فضائل الصحابة: (٤/ ١٩٤٢)، والترمذي في كتاب الفضائل، باب ما جاء في فضل من بايع تحت الشجرة: (٥/ ٣٥٧).

(٢) رواه البخاري في كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية: (٥/ ٦٣)، ومسلم بنحوه في كتاب الإمارة: (٣/ ١٤٨٤).

من الله.

ولا يفعلون كما يفعل النصارى فيستشفعون بالملائكة، أو الموتى من الأنبياء والصالحين، عند قبورهم أو غير قبورهم، ولا يقول أحد منهم: ياجبريل، ياميكائيل، اشفع لي إلى الله، ولا يقول: يا إبراهيم، يا موسى، ياعيسى، اشفع لي إلى الله، كما يفعل النصارى، بل قد علموا أن الغائب لا يطلب منه شيء، والميت لا يُطلب منه شيء، وأن الملائكة لا يفعلون إلا ما أمرهم به ربهم، ولا يشفعون إلا لمن ارتضى، وكذلك الأنبياء والصالحين، ولكن يطلب من أحدهم في حياته الدعاء والشفاعة، كما كان الصحابة يطلبون من النبي ﷺ ذلك، وكما يطلب الخلق منه الشفاعة يوم القيامة، صلى الله عليه وسلم تسليماً.

«فصـــل»

وكانـوا يصلون الصلـوات الخمس خلف النبي ﷺ وخلف غيـره من الأئمة. أداء الصلاة جماعة

كان لكـل دار من دور الأنصار مسجـد، ولهم إمام يصلـي بهم، إلا في الجمعة والأعيـاد، فإنهم كانـوا يصلون ذلك خلف النبي ﷺ. هـؤلاء أهل المدينة، وكـانت المدينة كبيرة ولا سـور لها، وإنما هي أماكن متفـرقة، كل قبيلـة لهم حـدائق، ومسجد، ومقبـرة، ومساكـن يتميزون بهـا عن القبيلـة الأخرى.

واسم المـدينـة يتنـاول ذلـك كلـه، لا يخـرج عنهـا إلا الأعـراب أهل العمود، كما قـال تعالى: ﴿وَممن حَوْلكُمْ مِن الأعرابِ مُنـافِقُونَ ومِنْ أهلِ المدينـة﴾ [التوبـة: ١٠١] والذين يفلحـون الأرض هم من أهل المـدينة، وهم الأنصار، ويسمى مسكن القبيلة داراً، ويراد بلفظ الدار: القبيلة نفسها.

وقد أمر النبي ﷺ باتخاذ المساجد في الدور، وأن تنظف، وتطيب.

وفي الحديـث الصحيح: «المدينة حـرم ما بين عيـر إلى ثور»[١] وعير هو: الجبل الذي عند ذي الحليفة، ظهره كظهـر العير وهو الحمار. وثور هو: جبل صغيـر بجنب أحد، وهذا غيـر جبل ثور الـذي بمكة، وقد اشتبـه ذلك على بعض العلمـاء، وقد سمى ذلك كلـه مدينـة وقال: «إني أحرم مـا بين

---

(١) رواه البخاري بنحوه في كتـاب فضائل المدينة، باب حرم المـدينة: (٢/ ٢٢٠ ـ ٢٢١)، ومسلم واللفظ له في كتاب الحج: (٢/ ٩٩٥).

لابتيها»[1].

واللابـة: الأرض التي تركبهـا حجارة سود، وقـال له الأعرابي: مـا بين لابتيها أهل بيت أفقر منا[2]. فما بين لابتيها: هو الحـرم وهو من المدينة،/ ٩/ وهو ما بين عير إلى ثور، وهو بريد في بريد.

الصحابة يصلون ويسلمون على النبي ﷺ كما أمرهم

وكانوا يصلون على النبي ﷺ ويسلّمون عليه في صلاتهم، كما أمر الله ورسولـه، فيقـولـون في التشهـد: «السـلام عليـك أيهـا النبي ورحمـة الله وبركاته»[3] ويصلون عليـه كما علمهم، مثل أن يقولـوا: «اللهم صلِّ على محمدٍ وعلـى آل محمدٍ كمـا صليت على آل إبـراهيم إنك حميـد مجيد، وبـارك على محمـد وعلى آل محمـد كما بـاركت علـى آل إبراهيـم إنك حميد مجيـد»[4]، وقـد روي: «كما صليـت على إبـراهيم»[5] وقد روي: «على إبراهيم وآل إبراهيم»[6].

---

(١) رواه البخاري بنحوه في كتاب فضائل المـدينة، باب لابتي المدينة: (٢/ ٢٢١)، ومسلم واللفظ له في كتاب الحج: (٢/ ٩٩٣).

(٢) رواه البخاري بلفـظ: «أحوج» بدل «أفقـر» في كتاب الصـوم، باب المجامع فـي رمضان هل يطعـم أهله الكفـارة إذا كـانـوا محاويـج؟ (٢/ ٢٣٦)، ومسلم فـي كتاب الصـوم: (٢/ ٧٨١_٧٨٢).

(٣) رواه البخاري في كتـاب الأذان، باب التشهد في الآخرة: (١/ ٢٠٢)، ومسلـم في كتاب الصلاة: (١/ ٣٠١_٣٠٢).

(٤) رواه البخاري في كتاب التفسيـر ـ سورة الأحزاب ـ باب قولـه: ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي﴾: (٦/ ٢٧)، ومسلم في كتاب الصلاة: (١/ ٣٠٥).

(٥) رواه البخاري في كتاب التفسيـر ـ سورة الأحزاب ـ باب قولـه: ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي﴾: (٦/ ٢٧)، ومسلم في كتاب الصلاة: (١/ ٣٠٦).

(٦) رواه البخاري في كتاب التفسيـر ـ سورة الأحزاب ـ باب قولـه: ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي﴾: (٦/ ٢٧).

وقد ثبت عنه في الصحيح أنه قال: «من صلى عليّ مرةً صلى الله عليه عشراً»[1]، وروي مثله في السلام: أنه من سلم عليه مرة، سلم الله عليه عشراً[2]. فهم إذا صلوا عليه وسلموا عليه، صلى الله عليهم وسلم عليهم.

ولم يكن هذا السلام في الصلاة مما يرد عليهم النبي ﷺ فيه السلام، إنما كان ذلك إذا حيوه تحية يسمعها، فإذا سلموا عليه ردّ عليهم السلام، وأما سلام الصلاة فهو كالصلاة عليه، الله هو الذي يصلي عليهم بالمرة الواحدة عشراً، ويسلم عليهم بالمرة الواحدة عشراً.

استمرار الصحابة بعد موت النبي ﷺ على مثل ما كانوا عليه في حياته

ولمّا قبض الله نبيّه ﷺ، كانوا على ما كانوا عليه في حياته، هم والتابعون يصلون خلف أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، في مسجده، وخلف غيرهم، لكن هؤلاء الأربعة أمّوا الناس في مسجده، فأبو بكر وعمر صليا بالنّاس حتّى ماتا، وعثمان صلى بالناس حتّى حصر، وعلي صلى بالناس مدة مقامه بالمدينة قبل أن يذهب إلى العراق، وهؤلاء الأربعة بويع لهم في مسجده، ولهذا قال الإمام أحمد بن حنبل: كل بيعة كانت بالمدينة فهي خلافة نبوة.

وكان خلفاؤه الراشدون، هم ومن يصلي خلفهم في مسجده، يفعلون بعد موته كما كانوا يفعلون في حياته، يصلون الصلوات الخمس، وهم في الصلوات يصلون عليه، ويسلمون عليه، ويدعون الله تعالى في الصلاة

---

(١) رواه مسلم في كتاب الصلاة: (١/ ٣٠٦).

(٢) رواه النسائي في كتاب الصلاة، باب فضل التسليم على النبي ﷺ: (٣/ ٤٤) ولفظه: «ولا يسلم عليك أحد إلا سلمت عليه عشراً» والحديث حسنه الألباني في «صحيح النسائي»: (١/ ٢٧٤).

وخارج الصلاة، وقد علموا أن ذلك يكفيهم، ويغنيهم عن غيره، مما لم يأمرهم به النبي ﷺ، ولم يشرعه لهم.

وكان ﷺ لمّا مات قد دُفن في حجرة عائشة، وفيها كان مرضه، وكانت حُجَرُ أزواجه شرقي المسجد وقبلته، وهي متصلة بالمسجد، يخرج منها إلى المسجد، وقد ذكرها الله تعالى في قوله: ﴿إنّ الذينَ يُنادونكَ من وَرَاءِ الحُجراتِ أكثرهم لايَعقلونَ﴾ [الحجرات: ٤] وهي بيوته وبيوت أزواجه، أضافها إليه في قوله: ﴿لاتَدْخُلُواْ بُيُوتَ النّبي﴾ [الأحزاب: ٥٣] وإلى أزواجه في قوله: ﴿وَقَرن في بُيُوتكُنّ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

تحذير الرسول ﷺ من اتخاذ القبور مساجد

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ قال في مرضه الذي لم يقم منه: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»(١) وفي طريق أخرى: «غير أنه خشي ـ أو خُشي ـ أن يتخذ مسجداً»(٢).

/ ١٠ قالت عائشة:/ «ولولا ذلك لأبرز قبره ولكن خشي أن يتخذ مسجداً»(٣) وفي لفظ للبخاري: «غير أني أخشى أن يتخذ مسجداً»(٤).

وفي صحيح مسلم عن جندب بن عبدالله قال: سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: «إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولو كنت متخذاً من

---

(١) رواه البخاري في كتاب الجنائز، باب ما جاء في قبر النبي ﷺ: (٢/ ١٠٦)، ومسلم في كتاب المساجد: (١/ ٣٧٦).

(٢) رواه البخاري في كتاب الجنائز باب ما جاء في قبر النبي ﷺ ٢/ ١٠٦.

(٣) رواه بنحوه مسلم في كتاب المساجد: (١/ ٣٧٦).

(٤) رواه البخاري في كتاب الجنائز، باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور: (٢/ ٩١).

أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك»[١].

وفي الصحيحين عن عائشة وابن عباس قالا: لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم كشفها عن وجهه، فقال وهو كذلك: «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» يحذر ما صنعوا[٢].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «قاتل الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[٣] وفي رواية لمسلم: «لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد».

وفي المسند وصحيح أبي حاتم أنه قال: «إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء، والذين يتخذون القبور مساجد»[٤].

وفي موطأ مالك عنه ﷺ أنه قال: «اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[٥].

---

(١) رواه مسلم في كتاب المساجد: (١/ ٣٧٧).

(٢) رواه البخاري في كتاب الصلاة باب ـ ٥٥ ـ: (١/ ١١٢)، ومسلم في كتاب المساجد: (١/ ٣٧٧).

(٣) رواه البخاري في كتاب الصلاة باب ـ ٥٥ ـ: (١/ ١١٣)، ومسلم في كتاب المساجد: (١/ ٣٧٦).

(٤) رواه أحمد: (١/ ٤٣٥) وقال أحمد شاكر في تحقيقه للمسند: إسناده صحيح: (٥/ ٣٢٤).

(٥) رواه مالك في «الموطأ» مرسلاً عن عطاء بن يسار، كتاب قصر الصلاة في السفر، باب جامع الصلاة: ص ١٢٤، ورواه أحمد عن أبي هريرة بلفظ: «اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد، لعن الله قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»: (٢/ ٢٤٦)، وقال أحمد شاكر: «إسناده صحيح» كما في تحقيقه للمسند: (١٣/ ٨٦).

وفي سنن أبي داود وغيره عن النبي ﷺ أنه قال: «لاتتخذوا قبري عيداً، وصلوا عليَّ حيثما كنتم فإن صلاتكم تبلغني»[1].

وفي سنن سعيد بن منصور أن عبدالله بن حسن بن حسن بن [علي بن][2] أبي طالب[3] ـ وهو أجل الشرفاء الحسنيين في زمن تابعي التابعين ـ أنه رأى رجلاً ينتاب قبر النبي ﷺ فقال: يا هذا إن رسول الله ﷺ قال: «لا تتخذوا قبري عيداً وصلُّوا علي حيثما كنتم فإن صلاتكم تبلغني» فما أنت ورجل بالأندلس منه إلا سواء[4].

---

(١) رواه أبوداود في كتاب المناسك، باب زيارة القبور: (٢/ ٢١٨)، ولفظه: «لاتجعلوا..» وصححه الألباني في «صحيح الجامع»: (٢/ ١٢١١).

(٢) ما بين المعقوفتين غير موجود في الأصل.

(٣) وصفه في التقريب بأنه ثقة جليل القدر وذكر أنه توفي سنة ١٤٥هـ وله خمس وسبعون سنة. انظر: تقريب التهذيب ترجمة رقم ٣٢٩٢ ص٤٩٩ ـ ٥٠٠.

(٤) قال شيخ الإسلام في كتابه «الرد على الأخنائي»: وقال سعيد أيضاً ـ يعني سعيد بن منصور ـ حدثنا عبد العزيز بن محمد أخبرني سهيل بن أبي سهيل قال: رآني الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عند القبر فناداني وهو في بيت فاطمة يتعشى فقال: هلم إلى العشاء، فقلت: لاأريده، فقال: ما لي رأيتك عند القبر؟ فقلت: سلّمت على النبي ﷺ. فقال: إذا دخلت المسجد فسلّم عليه، ثم قال: إن رسول الله ﷺ قال: «لاتتخذوا بيتي عيداً ولا بيوتكم قبوراً، لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، وصلوا عليّ إن صلاتكم تبلغني حيثما كنتم، ما أنتم ومن بالأندلس إلا سواء».

ورواه القاضي إسماعيل بن إسحاق في كتاب «فضل الصلاة على النبي ﷺ» ولم يذكر هذه الزيادة وهي قوله: «ما أنتم ومن بالأندلس منه إلا سواء» لأن مذهبه أن القادم من سفر والمريد للسفر سلامه هناك أفضل، وأن الغرباء يسلّمون إذا دخلوا وخرجوا، ولهذه مزية على من بالأندلس، والحسن بن الحسن وغيره لايفرقون بين أهل المدينة والغرباء ولابين المسافر وغيره»: «الرد على الأخنائي»: ص ٩٣. وانظر فضل الصلاة على النبي ﷺ للقاضي إسماعيل بن إسحاق ص ٣٣ـ ٣٤ رقم ٢٠ وص٣٨ـ٣٩ رقم ٣٠.

=

وفي سنن أبي داود وغيره عن أوس بن أوس الثقفي أن النبي ﷺ قال: «أكثروا عليّ من الصلاة يوم الجمعة وليلة الجمعة فإن صلاتكم معروضة عليّ» فقالوا: يا رسول الله كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت؟ - أي بليت - فقال: «إن الله حرّم على الأرض أن تأكل لحوم الأنبياء»[1].

وفي النسائي وابن حبان وغيرهما عن ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال: «إن لله ملائكة في الأرض سياحين يبلغوني عن أمتي السلام»[2].

الصلاة والسلام على النبي ﷺ يصل إليه من القريب والبعيد

فقد أخبر أن الصلاة والسلام عليه يصل إليه من البعيد والقريب بقوله ﷺ: «صلُّوا عليَّ حيثما كنتم فإن صلاتكم تبلغني» وقوله: «لا تتخذوا قبري عيداً»، وكذلك السلام يصل إليه من القريب والبعيد بقوله: «إن لله ملائكة سياحين/ يبلغوني عن أمتي السلام» فكل مسلم قال في صلاته: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته؛ وصل ذلك إليه.

/ ١١

السلام عليه في الصلاة أفضل منه عند قبره ﷺ

وكان أصحابه والتابعون لهم بإحسان يعلمون أن هذا السلام أفضل من السلام عليه عند قبره الذي يرد جوابه، فإن سلام التحية شرك فيه جميع المسلمين، كما في الحديث: «ما من رجل يمرّ بقبر الرجل كان يعرفه في

= ورواه بلفظ مقارب عن الحسن بن الحسن دون قوله: «فما أنت ورجل..» ابن أبي شيبة في كتاب الجنائز، باب من كره زيارة القبور: (٣/ ٣٤٥)، وعبدالرزاق في «مصنفه» في كتاب الجنائز، باب السلام على قبر النبي ﷺ: (٣/ ٥٧٧).

(١) رواه بنحوه أبوداود في كتاب الصلاة - باب فضل يوم الجمعة وليلة الجمعة: (١/ ٢٧٥)، وابن ماجه في كتاب الجنائز، باب ذكر وفاته ودفنه ﷺ: (١/ ٥٢٤)، وأحمد: (٤/ ٢)، والحاكم في كتاب الجمعة: (١/ ٢٧٨)، وقال: صحيح على شرط البخاري ووافقه الذهبي.

(٢) رواه النسائي في كتاب الصلاة، باب السلام على النبي ﷺ: (٢/ ٤٣)، وابن حبان كما في الإحسان، كتاب الرقائق: (٢/ ١٣٤)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع»: (١/ ٤٣٤).

الدنيا فيسلِّم عليه إلا ردّ الله عليه روحه حتى يردّ عليه السلام»[1].

وأمّا السلام إذا تعبد بـه في الصلاة وغيرها فإن هذا السـلام قد أمروا به في كل صـلاة، وهذا السـلام يسلم الله على العبـد بكل مرة عشـراً، وذلك السـلام هوﷺ يـرد عليهم، كمـا كان يـرد السلام علـى من سلّم عليـه في حياته.

وكان الصحـابة كلهـم يسلمون عليـه في كل صـلاة، وإنما يأتيـه من يأتيه منهم بعض الأوقات فيسلم عليه إذا أتاه، فذاك السلام في الصلاة أمر الله به في كـل صلاة، بخلاف هـذا، فإنه إنما يشـرع عند لقائه، وأجـر ذلك أعظم، فإن الله يسلم على العبد بـالمرة الواحدة عشراً، وهذا إنمـا يرد عليه الرسول.

وقـد علمهم أيضـاً إذا دخلـوا المسجـد أن يقـول الـرجـل: «بسم الله والسلام على رسول الله، اللهم اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب رحمتك»، وإذا خـرج أن يقـول: «بسم الله والسـلام على رسـول الله، اللهـم اغفـر لي [ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك»[2].

وكثير من الناس اتخذوا قبور أنبيائهم] [3] أعياداً، وأوثاناً، وأشركوا بها

(١) رواه بنحوه البيهقي في الشعب، وابن أبي الدنيا في القبور، والصابوني في المائتين، وابن عبد البر في الاستذكار، والتمهيد، وصححه عبدالحق، كما ذكر ذلك السيوطي في «شرح الصدور»: ص ٨٤، وذكـر ابن القيم أن ابن عبد البـر صححه، انظر «الـروح» لابن القيم: ص ٨.

(٢) رواه ابن مـاجه فـي كتاب المسـاجد، بـاب الـدعاء عنـد دخول المسجـد: (١/ ٢٥٣ ـ ٢٥٤) وأحمـد: (٦/ ٢٨٣) والحـديث صححـه الألبـانـي في «صحيـح ابن مـاجـه»: (١/ ١٢٨ ـ ١٢٩).

(٣) في هذا الموضع سقط، وقد زدت ما بين القوسين ليستقيم الكلام.

بعد موتهم، وإلا ففي حياتهم ما كانوا يمكنون أحداً أن يشرك بهم ويتخذهم أرباباً.

الصحابة والتابعون متبعون للتوحيد

فلهذا كان أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون لهم بإحسان متبعين للتوحيد الذي بعث الله به رسوله، مجتنبين لما نهاهم عنه من الشرك وأسبابه، واتبعوا أمره في منع الناس من قبره، فصار الشرك به، وفعل المنكر عنده، ممتنعاً بعد موته، كما كان ممتنعاً في حياته.

من فضائله ﷺ وفضائل أمته عدم بروز قبره

وهذا من فضائله، وفضائل أمته، فإنه لا نبي بعده، وأمته لا تجتمع على ضلالة، ولو كان قبره بارزاً؛ لكان كثير من الجهال يريد أن يتخذه مسجداً، ووثناً، وعيداً، كما فعل ذلك بقبر من ليس مثله، بل ينسب إليه، [تقرباً به](1)، أو طاعة له، لكن دفن في الحجرة محجوباً عن الناس، فلم يقدر أحد أن يشرك به، ولا يتخذه وثناً، ولا يفعل عند قبره منكراً، فصار له خاصة لا يشركه فيها غيره، فيما يأمر به (2)، وينهى عنه، فإن مسجده أسس على التقوى، والسفر مشروع إليه، [و](3) العبادة فيه فاضلة، وليس عند قبر غيره مسجد يسافر إليه، بل كثير من تلك المساجد بنيت لأجل القبور، وذلك حرام، وقد لعن النبي ﷺ من فعل ذلك تحذيراً لأمته.

وأما مسجده فهو مؤسس على التقوى، وهو أفضل المساجد بعد المسجد الحرام، وقيل: بل أفضلها مطلقاً، والصلاة فيه خير من ألف

---

(١) غير واضحة في الأصل، وهكذا استظهرتها.

(٢) في الأصل «يؤمر» ولعل الصواب ما أثبته.

(٣) الواو ليست موجودة في الأصل.

/١٢ صلاة فيما سواه، والسفر إليه مشروع/ مستحب.

وأما النهي فإنه لا يمكن أن يفعل عند قبره شيء من المنكر، ولا يتمكن أحد من زيارة قبره، والوصول إليه، كما يتمكن من زيارة قبر غيره، والوصول إليه، حتي يفعل عنده ما يفعل.

وقد ثبت عنه في الصحيح أنه قال: «لا تجلسوا على القبور، ولا تصلوا إليها»[١] فنهاهم عن اتخاذ القبور مساجد كما تقدم، ونهاهم عن الصلاة إليها، فنهاهم أن يجعلوها مساجد، أو قبلة؛ وهذا لأن أصل الشرك في بني آدم إنما كان من الشرك بأصحاب القبور، فإن أول الشرك كان في قوم نوح. قال ابن عباس: (كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام)[٢]، وقد ثبت في الصحيح أنهم يقولون يوم القيامة: «يانوح أنت أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض»[٣].

الشرك بأصحاب القبور هو أصل الشرك

ولهذا لم يذكر الله في القرآن رسولاً قبل نوح، ولا أمة أهلكها قبل أمته، وقد قال تعالى في قصته: ﴿وَقَالُوا لاَ تَذَرُنَ آلهتكُم وَلاَ تَذرُنّ وَدًّا وَلاَ سُوَاعاً وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوْقَ وَنسْراً وَقَدْ أَضلواْ كَثيراً وَلاَ تزد الظالمينَ إلاّ ضَلالاً﴾ [نوح: ٢٣ ـ ٢٤].

(١) رواه مسلم في كتاب الجنائز: (٢/ ٦٦٨).

(٢) رواه بنحوه ابن جرير في «تفسيره»: (٤/ ٢٧٥)، والحاكم في «المستدرك» كتاب التاريخ: (٢/ ٥٤٦) وقال: صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٣) رواه بنحوه البخاري في كتاب التفسير ـ تفسير سورة بني إسرائيل ـ : (٥/ ٢٢٦)، ومسلم في كتاب الإيمان: (١/ ١٨٥).

قال طائفة من السلف، منهم محمد بن كعب القرظي: «هذه أسماء قومٍ صالحين كانوا بين آدم ونوح، فلمّا ماتوا كان لهم أتباع يقتدون بهم ويأخذون بعدهم مأخذهم في العبادة، فجاءهم إبليس، فقال لهم: لو صورتم صورهم كان أنشط لكم وأشوق إلى العبادة، ففعلوا، ثم نشأ قوم بعدهم فقال لهم إبليس: إن الذين من قبلكم كانوا يعبدونهم. فعبدوهم» رواه عبد بن حميد في تفسيره عن محمد بن كعب[1].

فابتداء عبادة الأوثان كان ذلك، وسميت تلك الصور بهذه الأسماء؛ لأنهم صوروها على صور أولئك القوم من المسلمين.

وذكر البخاري في صحيحه عن عطاء عن ابن عباس قال: صارت الأوثان التي كانت تعبد في قوم نوح، في العرب تعبد، أما ود فكانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواع فكانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمراد ثم لبني غطيف بالجوف عند سبأ، وأما يعوق فكانت لهمدان، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع[2].

---

(١) وذكره السيوطي في «الدر المنثور»: (٦/ ٢٦٩).

(٢) رواه البخاري في كتاب التفسير ـ تفسير سورة نوح ـ: (٦/ ٧٣). وجاء في فتح الباري للحافظ ابن حجر: قوله: (أما ود فكانت لكلب بدومة الجندل) قال ابن إسحاق: وكان لكلب بن وبرة بن قضاعة. ودومة بضم الدال، والجندل بفتح الجيم وسكون النون: مدينة من الشام مما يلي العراق. وود بفتح الواو وقرأها نافع وحده بضمها.
(وأما سواع فكانت لهذيل) زاد أبو عبيدة: ابن مدركة بن إلياس بن مضر، وكانوا بقرب مكة. وقال ابن إسحاق: كان سواع بمكان لهم يقال له: رهاط، بضم الراء وتخفيف الهاء، من أرض الحجاز من جهة الساحل. =

وذكر [ابن جرير] [1] في تفسيره: روى سفيان عن موسى عن محمد ابن قيس يعني ابن مخرمة بن نوفل قوله: ﴿لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣] قال: كانت أسماء رجال صالحين في قوم نوح، فلمّا هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون عليها أنصاباً، وسمّوها بأسمائهم، ففعلوا، ولم تعبد، حتى إذا هلك أولئك، ونسخ العلم، عبدت.

وروي عن ابن عباس: أن تلك الأوثان دفنها الطوفان، وطمسها التراب، فلم تزل مدفونة حتي أخرجها الشيطان لمشركي العرب [2].

وقد قيل: شابهتها في الأسماء والجنس، ولم تكن أعيان هذه أعيان

= قوله: (وأما يغوث فكانت لمراد ثم لبني غطيف وهو غطيف بن عبدالله بن ناجية بن مراد.

قوله: (بالجرف) في رواية أبي ذر عن غير الكشميهني بفتح الحاء وسكون الواو، وله عن الكشميهني: الجرف بضم الجيم والراء وكذا في مرسل قتادة.

وللنسفي (بالجون) بجيم ثم واو ثم نون، زاد غير أبي ذر: عند سبأ.

قوله : (وأما يعوق فكانت لهمدان) قال أبو عبيدة: لهذا الحي من همدان ولمراد بن مذحج، وروى الفاكهي من طريق ابن إسحاق قال: كانت خيوان بطن من همدان اتخذوا يعوق بأرضهم.

قوله: (وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع) في مرسل قتادة «الذي الكلاع من حمير» زاد الفاكهي من طريق أبي إسحاق: «اتخذوه بأرض حمير». انظر: فتح الباري ٨/ ٦٦٨ ـ ٦٦٩.

(١) ما بين المعقوفتين غير موجود في الأصل والسياق يقتضيه ؛لأن هذا الأثر موجود بمعناه وبالسند الذي أورده المؤلف في «تفسير ابن جرير»: (٢٩/ ٦٢) وهذا الأثر هو بنحو بقية الأثر السابق.

(٢) انظر تفسير القرطبي ١٨/ ٩٩.

تلك، وكانت للعرب أصنام أخر؛ فاللات لأهل الطائف، والعزى لأهل مكة، ومناة لأهل المدينة. وقد ذكر مثل هذا غير واحد من السلف.

وهذا[1]/ الذي ذكروه أنه كان ابتداء عبادة الأوثان هو مبدأ الشرك من مبتدعة أهل الملل كالنصارى، فإنهم صوروا تماثيل الصالحين والأنبياء، وقالوا: هذا فعلناه تذكاراً لنتذكر بصورهم أحوالهم، فتكون أنشط وأشوق لنا إلى التشبه بهم. ثم صاروا يدعونهم ويطلبون منهم الشفاعة، ويقولون: نحن نطلب من هذه التماثيل أن يشفعوا لنا، والمقصود: طلبنا من أصحابها أن يشفعوا لنا. ١٣/

سد النبي ﷺ ذريعة الشرك

ولما كان هذا مبدأ الشرك في النصارى، وفي القبور؛ سد النبي ﷺ ذريعة الشرك، ففي صحيح مسلم عن أبي الهياج الأسدي قال: قال لي علي بن أبي طالب: «ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ أمرني أن لا أدع قبراً مشرفاً إلا سويته، ولا تمثالاً إلا طمسته»[2].

فلم يكن على عهد الصحابة، والتابعين، بل وتابعي التابعين، كمالك وأبي حنيفة وغيرهما في ديار الإسلام، قبر يُتخذ مسجداً، ولا يصلى إليه، ولا كان في عهدهم في بلاد الإسلام قبر ولا مشهد يسافر إليه، وإنما حدثت المشاهد على القبور بعد القرون الثلاثة، فلم يكن يصلى عندها لله، ولا يقصد الدعاء عندها، فضلاً عن أن يكون يقصد أن يدعى صاحبها أو

---

(١) في الأصل «وهذا» مكررة.

(٢) رواه مسلم في كتاب الجنائز: (٢/ ٦٦٦) ولفظه: «ألا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته».

يسأل، ويقال: إنا نستشفع به، كما يفعله النصارى، بل لما فتح[1] المسلمون العراق وجدوا قبر دانيال[2]، وعنده مصحف، قال أبو العالية: أنا قرأته، وفيه أخباركم، وكان أهل المكان يستسقون به، فكتب فيه أبوموسى إلى عمر، فكتب إليه عمر يقول: احفر بالنهار ثلاثة عشر قبراً، وادفنه بالليل في واحد منها؛ لئلا يفتتن به الناس[3].

قبر دانيال

مشروعية السفر إلى المساجد الثلاثة

وكان الصحابة رضوان الله عليهم يسافرون إلى المساجد الثلاثة لأجل الصلاة فيها، وللدعاء ونحو ذلك، كما في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى»[4].

أخرجاه من حديث أبي سعيد وأبي هريرة.

حتى كان ابن عمر يأتي إلى بيت المقدس فيصلي فيه، ويخرج ولا يشرب فيه ماء، رجاء أن تصيبه دعوة سليمان عليه السلام: اللهم لا يأتي هذا البيت أحد لا يريد إلا الصلاة فيه إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه[5].

---

(١) في الأصل: «فتحوا».

(٢) في الأصل: «داينال» وهو تصحيف. ودانيال: من بني إسرائيل، وكان رجلاً صالحاً، وقيل: كان نبياً. انظر «البداية والنهاية»: (٢/ ٤٠ ـ ٤١).

(٣) ذكر هذه الحكاية ابن كثير وصحح إسنادها إلى أبي العالية. انظر «البداية والنهاية»: (٢/ ٤٠).

(٤) رواه البخاري في كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، باب مسجد بيت المقدس: (٢/ ٥٨)، وفي كتاب الصيام، باب الصوم يوم النحر: (٢/ ٢٤٩ ـ ٢٥٠)، ومسلم في كتاب الحج: (٢/ ١٠١٤).

(٥) جاء في الحديث «إن سليمان بن داود سأل ربه ثلاثاً.. وسأله أيما رجل يخرج من بيته لا يريد إلا الصلاة في هذا المسجد أن يخرج من خطيئته كيوم ولدته أمه..»

=

ولم يكونوا يتخذون ذلك وقت الحج، بل كانوا يحجون ويأتون إلى بلادهم، وكان عمر يقول: يا أهل الشام شامكم، يا أهل اليمن يمنكم، يا أهل العراق عراقكم. ولكن كانوا يأتون مسجد المدينة والمسجد الأقصى بحسب ما تيسر، ليس لذلك وقت، ومنهم من يتيسر له ذلك وقت الحج.

حقيقة المتابعة للرسول ﷺ

وكان الصحابة يتحرّون متابعة النبي ﷺ والاقتداء به، فما فعله على وجه العبادة فعلوا كما فعل، وإذا خص مكاناً أو زماناً بالعبادة فيه خصوه هم أيضاً بالعبادة، كما كان يخص مشاعر الحج مثل عرفة ومزدلفة/ ومنى، بما شرع فيها من العبادة، وقد قال لهم: «خذوا عني مناسككم»[1] فكانوا يقصدون أن يفعلوا كفعله. / ١٤

وكذلك كان يقصد تخصيص المسجد الحرام، ومسجده، ومسجد قباء؛ فيخصونها، لكن مسجد قباء؛ لم يشرع السفر إليه، ولكن شرع إتيانه من القرب، كما قال: «من تطهّر في بيته ثم أتى مسجد قباء لا يريد إلا الصلاة فيه كان له كعمرة»[2].

وكذلك كان سلمة بن الأكوع يتحرى الصلاة في مكان من مسجده، ويقول: إن رسول الله ﷺ كان يتحرى الصلاة فيه عند اسطوانة فيه[3].

= ورواه أحمد: (٢/ ١٧٦)، وابن حبان كما في الإحسان، كتاب الصلاة، باب المساجد: (٣/ ٧٦)، والحاكم في «مستدركه» في كتاب الإيمان: (١/ ٣٠ ـ ٣١) وقال: «هذا حديث صحيح، قد تداوله الأئمة، وقد احتجا بجميع رواته، ثم لم يخرجاه، ولم أعلم له علة» ووافقه الذهبي.

(١) رواه مسلم بنحوه في كتاب الحج: (٢/ ٩٤٣).

(٢) رواه بنحوه النسائي في كتاب المساجد، باب فضل مسجد قباء والصلاة فيه: (٢/ ٣٧)، وابن ماجه في كتاب الصلاة، باب ما جاء في الصلاة في مسجد قباء: (١/ ٤٥٣)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه: (١/ ٢٣٨).

(٣) رواه البخاري في كتاب الصلاة باب الصلاة إلى الاسطوانة ١/ ١٢٧ ومسلم في كتاب الصلاة (١/ ٣٦٤ ـ ٣٦٥).

وكـذلك يعظمـون شهر رمضـان، وعشـر ذي الحجـة، ويوم الجمعـة، ونحو ذلك مما كان يخصه ﷺ بالتعظيم.

وما فعله على وجه الاتفاق، مثل سيره فـي طريق، وصلاته فيه إذا نزل، وصبّ ماء فضل معه في أصل تحت شجـرة، ـ وكان ابن عمر رضي الله عنه يحب أن يفعل كفعله، وأمـا أكثر الصحابة فلم يكونـوا يقصدون ذلك؛ لأن المتابعـة هي أن نفعل كما فعل علـى الوجه الـذي فعل، فلابد أن نشـاركه في القصـد والنيّـة فإنمـا الأعمال بـالنيّات، فـإذا قصد العبـادة بـالعمل، فقصدنا العبادة بـه؛ كنا مقتدين، متبعين، متأسين به، وأمـا إذا لـم يقصد به العبادة، بل فعله على وجه الاتفاق لتيسره عليـه، فإذا قصدنا العبادة به؛ لم نكن متبعين له ــ ومشي ناقته في الطريق، وصب مـاء فضل من وضوئه في شجرة هناك، ونحو ذلك، هو لـم يقصد بـه مكاناً معيناً بقصد العبادة بصبّ الماء في تلك الشجـرة دون غيرها، أو قصد العبادة بمشـي رجليه في ذلك الجانب دون غيره، بل قصد أن يمس بـالماء ما قرب منه من [1] الشجر ولا يضيع، ففعل ما يسـره الله له من الفعل، كما كان يأكل مـا تيسر، ويلبس ما تيسر، فكان لا يعيب طعـاماً قط، إن اشتهاه أكله وإلا تركـه، وكان يأكل من تمر مدينته كالـرطب، وأما ما لم يوجد فيها فلم يكن يأكلـه؛ لأنه لـم يوجد ولو وجده لأكله، فـاتباعه في ذلك أن يأكل الرجل من طعـام بلده ما تيسر، لا يقصد من ليس ببلده رطب أن يأكل الرطب، فإن هذا ليس بمتابعة.

وهذا كما أمر أهل المـدينة أن يخرجوا صدقة الفطر صـاعاً من تمر، أو

---

(١) في الأصل: «في».

شعير؛ لأنه كان قوتهم، فمن كان قوته القمح فهو مأمور أن يخرج قمحاً عند جماهير العلماء ـ وإن قال بعضهم: إن التمر أفضل ـ وليس له أن يخرج الشعير عند الجمهور، وفي إخراج التمر نزاع أيضاً.

تتبع آثار الأنبياء

وقد ثبت عن عمر بن الخطاب أنه رأى قوماً ينتابون مكاناً يصلون فيه، فقال: ما هذا؟ فقالوا: هذا مكان صلى فيه رسول الله ﷺ بسفر، ومكان حلّ فيه رسول الله ﷺ [فقال عمر][1]: أتريدون أن تتخذوا آثار أنبيائكم مساجد؟ إنما هلك من كان قبلكم بهذا، من أدركته الصلاة فيه فليصل وإلا فليذهب[2].

وهذا نهي عن مثل ما كان يفعله/ ابن عمر، مع أن ابن عمر لم يكن يقصد لا هو ولا غيره من الصحابة إتيان الأمكنة التي فيها آثار الأنبياء للعبادة، بل إنما قصد متابعته في صورة الفعل. / ١٥

وأما الأمكنة التي كان يقيم بها، ويجلس فيها، وينزل بها ليلاً ونهاراً، والطُرق التي كان يسير بها، والمواضع التي كان ينزلها في أسفاره، فلم يكن أحد من الصحابة يقصدها لصلاة فيها ولا دعاء ولا غير ذلك، مثل حُجَر أزواجه التي كان يقيم بها ليلاً ونهاراً، فلم يكن أحد منهم يقصد زيارة تلك البقاع، والصلاة فيها، والدُّعاء.

وكذلك غار حراء الذي كان يتحنث فيه، وغار ثور الذي كان فيه هو وأبو بكر، وغار المرسلات الذي نزلت عليه فيه المرسلات، ومثل منزله لما حاصر قريظة والنضير، ومثل طرقه في أسفاره، فلم يكن أحد من الصحابة

---

(١) ما بين المعقوفتين لم تظهر في الهامش المصور.

(٢) رواه بنحوه ابن وضاح في البدع: ص ٤١، وأشار الحافظ ابن حجر إلى أنه ثابت الإسناد، كما في «فتح الباري»: (١/ ٥٦٩).

يقصد زيارة هذه الأمكنة، ولا الصلاة فيها، والدُّعاء، وإذا لم يكونوا يفعلون هذا بالبقاع التي حلّ بها أفضل الخلق؛ فهم لغيرها أترك، فلم يكن أحد منهم يقصد شيئاً من البقاع لا بالشام ولا بغير الشام، إلا المساجد التي للصلاة، لا يقصدون بقعة لكونه نزل بها إبراهيم، أو موسى، أو عيسى، لا بالبيت المقدس، ولا غيره، بل كانوا يسافرون لإتيان البيت المقدس.

ولما فتحه المسلمون وكان على الصخرة زبالة عظيمة جداً كانت النصارى تهينها بغضاً لليهود، فطهّرها عمر بن الخطاب، وقال لكعب الأحبار: أين ترى[1] أن أبني مصلّى المسلمين؟ قال: خلف الصخرة. قال: يا ابن اليهودية خالطتك يهودية، بل أبنيه في صدر المسجد، فإن لنا صدور المساجد[2]. فبنى مصلّى المسلمين في قبلي المسجد ـ وهو الذي يسميه بعض الناس: الأقصى، والمسجد الأقصى يتناول المسجد كله ـ ولم يبنه خلف الصخرة؛ لئلا يتشبه المسلمون بمن يصلّي إلى الصخرة، مع أنها كانت قبلة منسوخة.

وإبراهيم عليه السلام لمّا بنى البيت، ودعا الناس إلى الحج، فأمر الله تعالى أن نجيب دعوة إبراهيم، ونفعل كما فعل، فنعبده في الأماكن التي قصد العبادة فيها، ولهذا قال غيرُ واحدٍ من السلف: مقام إبراهيم هو: المشاعر: عرفة، ومزدلفة، ومنى، وإن كان المقام الخاص أخصّ من غيره، ولهذا صلّى النبيُّ ﷺ ركعتي الطواف عنده، ثم إذا كانت سنة النبيِّ ﷺ، وخلفائه، وأصحابه، وما عليه علماء أمته: أنه لا يسنّ استلام مقام

---

(١) [ترى] مكررة في الأصل.

(٢) رواه أحمد بنحوه في مسنده ١/ ٣٨، وقال الحافظ ابن كثير عن إسناده: جيد. انظر: البداية والنهاية ٧/ ٥٨.

إبراهيم، ومحمد، صلى الله عليهما، وهما أفضل الخلق؛ فغيرهما أولى أن لا يسن استلام مقامه، فإن الاستلام إنما هو بركن بيت الله عبادة لله، كما أن الطواف إنما هو ببيت الله عبادة لله، لا يكون ببيت مخلوق.

لم يكن الصحابة والتابعون /١٦ يسافرون لزيارة قبر الخليل

ولم يكن الصحابة، والتابعون، وتابعوهم، يسافرون إلى قبر الخليل عليه السلام،/ ولم يكن ظاهراً، بل كان على المغارة بناء، وليس له باب مثل حجرة النبي ﷺ، وإنما نقب عليه باباً النصارى الكفار، لما استولوا على تلك البلاد، وجعلوه كنيسة، وعلى مثل ذلك لعنهم النبي ﷺ حيث اتخذوا قبور الأنبياء مساجد.

فلم يكن أحد من الصحابة يسافر لزيارة قبر إبراهيم وأهل بيته، وأكثر الناس لم يكونوا يعرفون أن هناك قبر الخليل، ولهذا تنازع الناس فيه، بل كانوا يأتون إلى المسجد الأقصى، ولا يذهبون إلى تلك القرية، وكان ذلك قربه، ولم يكن قبر الخليل ظاهراً يدخل إليه، فإن سليمان عليه السلام بنى عليه حجرة فكان مسدوداً، وليس عليه علامة يعرف بها، وقد قيل: إنه أول ما أظهر في سنة بضع وثلاثمائة في خلافة المقتدر[1]، لما حدث في الإسلام حوادث كثيرة، واستطال الكفار والمنافقون على أهل الإسلام في ذلك الوقت.

والأحاديث التي رويت في ليلة المعراج أنه قيل للنبي ﷺ: انزل فصلّ، فهذا يثرب، أو فهذا طور موسى، أو قبره، أو هذا قبر الخليل، كلها كذب، قد بين الحفاظ كذبها، وإن كان قد خفي حال بعضها على بعض

---

(١) هو المقتدر بالله جعفر بن أحمد، يكنى أبا الفضل، أحد خلفاء بني العباس، بويع له بالخلافة بعد أخيه المكتفي سنة ٢٩٥هـ وقتل سنة ٣٢٠هـ. انظر «البداية والنهاية»: (١١/ ١٧٠).

العلماء، بل الذي في الصحيح أنه صلى في بيت المقدس بالأنبياء ولم يصل في غيره، ولهذا كانت الصلاة فيه والسفر إليه للصلاة فيه مستحبة.

استلام وتقبيل أركان الكعبة

وقد اتفق المسلمون على ما هو سنة بينهم، أن من حج البيت فإنه يستحب له أن يستلم الحجر الأسود، ويقبله، وأما اليماني فإنه يستلمه، وتنازعوا في تقبيله، فقيل: يقبّله، وقيل: يقبّل يمينه التي استلمه بها، وقيل: لا يقبّله ولا يقبّل يمينه، وهذا أصح، فإن النبي ﷺ استلمه[1] واستلم الحجر الأسود،[2] وقبل الحجر[3]، ولم يقبّله، وأما الركنان الشاميان فلم يستلمهما ولم يقبلهما.

ومقام إبراهيم الذي قال الله فيه: ﴿وَاتخِذُواْ مِنْ مقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥] لم يستلمه ولم يقبله، واتفق العلماء على أنه لا يستلم ولا يقبّل، فإذا كان هذا مقام إبراهيم الذي أمرنا أن نتخذه مصلى، اقتداءً بإبراهيم خليله، فمقام لم نؤمر أن نصلي فيه، أولى أن لا نستلمه ولا نقبّله، مثل مقامات تضاف إلى إبراهيم، وغيره، بالشام، وغير الشام.

ويقال: في هذا المكان قتل فلان النبي، وبهذا المكان نزل فلان النبي، ونحو ذلك، وتقبّل تلك الأمكنة، وتستلم، وتقصد للصلاة فيها، وهذا لو كان صحيحاً لم يكن أفضل من المواضع التي صلى فيها النبي

(١) رواه البخاري في كتاب الحج باب من لم يستلم إلا الركنين اليمانيين ٢/ ١٦٢، ومسلم في كتاب الحج (٢/ ٩٢٤).

(٢) رواه البخاري في كتاب الحج باب استلام الحجر الأسود ٢/ ١٦١، ومسلم في كتاب الحج (٢/ ٨٩٣).

(٣) رواه البخاري في كتاب الحج باب تقبيل الحجر ٢/ ١٦٢، ومسلم في كتاب الحج ٢/ ٩٢٥.

ﷺ، مثل حُجَره التي كان يقيم بها ليـلاً ونهاراً، ومثل الغيران التي حلّ بها، كغار ثور، وغار حراء، وغير ذلك من البقاع، فإذا لم يكن الصحابة يقصدون هذه البقاع للدعاء والصلاة؛ فغيرها أولى أن لا يقصد.

وجـوانب البيت لا تستلم، ولا تقبّـل، وقد طـاف ابن عبـاس ومعاويـة رضي الله عنهما، فكان معاوية يستلم الأركـان الأربعة، فقال له ابن عباس: إن رسول الله/ ﷺ لم يستلـم إلا الركنين اليمانييـن، فقال له معـاوية: ليس /١٧
من البيت شيء مهجـور، فقال له ابن عبـاس: لقد كان لكـم في رسول الله أسوة حسنة[(١)]. فسكت معاوية، ووافق ابن عباس لما بين له السنة.

لا يطاف بغير الكعبة

وعلى هـذا فقهاء المسلميـن قاطبـة، فمـا سوى الكعبـة، كالصخـرة، وغيـرها، لا تستلـم، ولا تقبّل، كمـا لا يطـاف بها، وليـس في الأرض مكـان يطاف به إلا الكعبة، كما أنه لا قبلـة إلا الكعبة، مع أن الصخرة كانت قبلة، فمن اتخـذها اليـوم قبلة فهـو كافـر، والطّـواف بها، وبأمثـالها، أعظـم من اتخاذهـا قبلة؛ فإن الطّواف لم يشـرع قطّ إلا بالبيت العتيق، ولا حـرم يحرم صيده ونباته إلا حرم مكة، وكذلك حـرم المدينة عند الجمهور، ودلت عليه الأحاديث الصحيحة. ووادي وَج[(٢)] بالطائف حرم عند الشافعي، لحديث روي فيه[(٣)]، وأكثر العلماء يقولون: ليس بحـرم، وضعف أحمد حديثه، وما

---

(١) رواه الإمام أحمد: (١/ ٢١٧) وفيه: «فقال معاوية: صدقت» وصحح إسناده أحمد شاكر في تحقيقه للمسند: (٣/ ٢٦٦).

(٢) وادي في الطائف وتبعد الطائف عن مكة اثنـا عشر فرسخاً. «معجم البلدان»: (٤/ ٩)، (٥/ ٣٦١).

(٣) رواه أبوداود في كتاب المناسك، بـاب في مال الكعبة: (٢/ ٢١٦) ولفظه: «إن صيد وج =

سوى الثـلاث ليس بحرم بـاتفاق المسلمين، لا البيت المقـدس، ولا قبور الأنبياء، ولا غير ذلك.

□ □ □

= وعضاهـه حرام محـرم لله» وضعفه ابن القيم فـي «إعلام الموقعيـن»: (١/ ٣٢)، وضعفه الحافظ ابن حجر، وذكر من ضعفه كالنووي وغيره. انظر «تلخيص الحبير»: (٢/ ٣٠٠).

«فصـــــل»

لم يكن الصحابة يقصدون القبور

ولم يكن أحد من الصحابة يقصد شيئاً من القبور، لا قبور الأنبياء ولا غيرهم، لا يصلي عنده ويدعو عنده، ولا يقصده لأجل الدعاء عنده، ولا يقولون: إن الدعاء عنده أفضل، ولا الدعاء عند شيء من القبور مستجاب، بل قد علموا أن النبي ﷺ لعن من اتخذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد لله فيصلّى عندها لله، والمصلي لله إنما يدعو الله، ويتضرع له، ويستغيث به، فإذا كان النبي ﷺ قد لعن من فعل هذا عندها لئلا يتشبه بمن يقصد دعاءها، فالذي يقصد دعاءها[1] قد فعل نفس الشرك الذي لأجله نهي عن اتخاذها.

ومن العجب أن كثيراً من الناس نهي عن الصلاة عندها، ثم يقصدون الدعاء عندها، ويقولون: إنه يستجاب الدعاء هناك، فهل يقول مسلم أو عاقل إن مكاناً نهينا أن نعبد الله فيه بالصلاة لله يكون الدعاء فيه مستجاباً، ويكون مقصوداً للدعاء؟! وهذا بمثابة من قال: أنا لا أصلي عند طلوع الشمس، وعند غروبها، ولكن أسجد للشمس حينئذ. وهو إنما نهي عن الصلاة لئلا يتشبه بمن يسجد للشمس.

---

(١) في الأصل: «دعاها».

«فصــــل»

لم يكن الصحابة يسافرون إلى القبور

ولم يكن أحد من الصحابة والتابعين يسافر إلى قبر، لا قبر نبي، ولا غيره، بل كان عامتهم يأتون المدينة النبوية، ويصلون في مسجده ويسلمون عليه في الصلاة، ويرون ذلك هو غاية المطلوب، فلم يكونوا يذهبون إلى قبره، لم يكن أحد منهم يدخل إلى قبره، لا للسلام، ولا للصلاة، ولا للدعاء، ولا غير ذلك، إلا من دخل على عائشة لأنه بيتها، فيسلم على النبي ﷺ، والنبي ﷺ يردّ عليه، كما جاء في الحديث.

السلام على النبي ﷺ

وأما السلام عليه في المسجد، فهو مثل الصلاة عليه في المسجد، يفعل في جميع جوانب المسجد، وفي جميع الأرض، واستقبال القبلة به أولى.

لا يستحب لأهل المدينة إتيان قبره كلما دخلوا أو خرجوا

/١٨ وقد اتفق العلماء على أن أهل المدينة/ لا يُستحب لهم إذا دخلوا أو خرجوا أن يأتوا لقبره، ولكن هل يُستحب لهم ذلك إذا قدموا من السفر، أو يُستحب للغرباء، عند الدخول والخروج؟ هذا فيه قولان، لكن قد ساغ بعده؛ لأن ابن عمر فعله، وتابعه على ذلك كثيرٌ من علماء السلف والخلف، وإن [لم][1] يكن هذا عندهم من السنن المشهورة، إذ كان النبيُّ ﷺ لم يأمرهم به كما أمرهم أن يسلموا عليه في الصلاة، بل أخبرهم أنه من سلم عليه ردّ عليه السلام، وهذا يتناول من[2] سلم عليه من القرب

---

(١) غير موجودة في الأصل.

(٢) في الأصل «لمن».

في بيته، وأما البعيد فلا يدخل فيه بالاتفاق، لكن من كان في المسجد عند الحائط، هل هو قريب أو بعيد؟ على قولين.

وهكذا أخبرهم عن سائر المؤمنين فقال: «ما من رجل يمرّ بقبر الرجل كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا رد الله عليه روحه حتى يردّ عليه السلام».

وكان هو ﷺ مدفوناً في حجرة عائشة، وقد قالت عائشة إنه قال في مرضه الذي مات فيه: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» قالت عائشة: ولولا ذلك لأبرز قبره؛ ولكن خشي أن يُتخذ مسجداً.

فبينت أنه دُفن في الحجرة ولم يظهر قبره؛ لئلا يتخذ مسجداً يصلى عنده، وإن كان المصلي إنما يصلي لله، ويدعو الله، فإنه لعن من يتخذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد، ونهى أمته أن يتخذوا القبور مساجد، فإذا كان هو ﷺ لعن من يصلي عندها لله، ويدعو الله ـ لأن ذلك ذريعة إلى الشرك ـ فكيف بمن يصلي لها، ويسجد لها، أو يدعوها، ويستغيث بها، ويطلب منها ما يطلب من ربّ العالمين، فإن هذا من أعظم الشرك، وجعلها أوثاناً وأنداداً لله رب العالمين، كما فعل قوم نوح، ومن ضاهاهم من مشركي أهل الكتاب.

فمقصوده ﷺ بقوله: «ما من رجل يسلّم عليّ إلا ردّ الله عليّ روحي حتى أردّ عليه السلام»[1] بيان حياته، وأنه يسمع السلام من القريب،

(١) رواه أبو داود بلفظ: «أحد» بدل «رجل» في كتاب المناسك، باب زيارة القبور. (٢/ ٢١٨)، وأحمد بنحوه: (٢/ ٥٢٧)، وأشار شيخ الإسلام إلى أن هناك من ضعفه كما في كتابه «الرد على الأخنائي»: ص ١٠٩، وقال ابن عبدالهادي بعد أن أطال الكلام على إسناده: «لا ينبغي أن يقال هو على شرط مسلم، وإنما هو حديث إسناده مقارب، وهو صالح أن يكون متابعاً لغيره وعاضداً له». «الصارم المنكي»: ص ١٦٣.

ويبلِّغ السلام من البعيد، ليس مقصوده أمر الأمة بأن يأتوا إلى القبر ليسلموا عليه عند قبره، فإنه لم يأمرهم بذلك، إنما أمرهم بالسلام عليه في الصلاة، وذلك أفضل وأكمل له ولهم؛ وذلك لأن سلام التحية مشروع لمن أتى لحاجة كما كانوا يأتونه في حياته فيسلمون عليه، وكذلك من دخل إلى بيته يسلّم عليه، وأما أن يقصد إتيانه لأجل ردّه، فهذا غير مشروع، لا في حياته، ولا بعد موته.

ولهذا اتفقوا على أنه لا يشرع لأهل المدينة إذا دخلوا وخرجوا، ولو كان هذا كالسلام في الصلاة لكان مستحبًّا لأهل المدينة، ولكن السلام عليه لمن قدم جائز مشروع باتفاق العلماء، وإنما النزاع: هل يستقبل به الحجرة، أو القبلة؟ وهل هو السلام المأمور به في القرآن كالصلاة عليه، أو هو سلام/ التحية، الذي يشترك فيه جميع المؤمنين، الأحياء، والأموات؟ /١٩

هل يقال: زرت قبر النبي ﷺ؟

وقد تنازع العلماء: هل يُكره أن يُقال: زرت قبر النبي ﷺ؟ على قولين: فكره ذلك مالك وغيره، بل وكره أن يقال: طواف الزيارة. وللناس في تعليل ذلك أقوال:

قيل: لأن الزائر أفضل[1]، وقيل: لكراهة زيارة القبور، وقيل: يكره أن يُقال: زرت قبره، ولا يكره أن يقال: زرته، وقيل: لأن زيارة قبره ممتنعة، فإن زيارة قبره إنما تكون إذا دخل إلى بيته، حيث دفن، وهذا ممتنع، وإنما الممكن أن يأتي مسجده، ومسجده يؤتى لكونه مسجداً، لا لأجل القبر، لكن يسلّم عليه في مسجده كما كان يُسلّم عليه في مسجده في حياته،

---

(١) في حاشية الأصل تعليق وهو: «قوله: لأن الزائر أفضل، انظر ما وجه أن الزائر أفضل من المزور، وهل هذا على إطلاقه؟».

كما كـان يسلم عليه فيه فـي الصلاة والسلام عليـه سلام التحية، فـالسلام المأموربه مشروع فيه باتفاق العلماء، وسلام التحية فيه قولان.

هـل يستقبـل القبـر أو القبلـة في السلام؟

وهل يستقبـل القبـر أو القبلـة؟ قـولان، ومـالك يـرى استقبـال القبـر، وأبوحنيفة يرى استقبال القبلة.

☐ ☐ ☐

«فصـــــل»

إن قيـل زيـارة القبـور مستحبـة فتكون زيارة قبـره كـذلك من بـاب أولى

فإن قيل: إذا كان زيارة قبر غيـره مستحبًا، ولا يكره أن يقال: زرت قبره، فهو ﷺ أحقّ بـأن يكون زيارة قبـره مستحبًا، ولا يكره أن يقـال: زرت قبره، وقد ثبـت لفظ زيارة القبـور في كـلام النبي ﷺ، كما فـي الصحيح: «كنت نهيتكم عـن زيـارة القبور فـزوروهـا فإنهـا تـذكـركم الآخـرة»[1]. ومـا في الصحيح أنه كـان يعلم أصحابـه إذا زاروا القبور أن يقول قـائلهم: «السلام عليكم أهل الديار من المؤمنيـن والمسلمين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية»[2] وفي لفظ: «يرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخـرين»[3]. وثبت فـي الصحيح أنه خـرج إلى أهـل البقيع فدعـا لهم[4]، وكذلك خرج إلى شهداء أحد[5].

قيل: الكلام في مقدمتين:

في زيارة سائر القبور، ثم هل هو مثل غيره، أو بينه وبين غيره فرق؟

حكم زيارة القبور

أما المقـدمة الأولى: فقد اختلف العلمـاء في زيارة القبور على ثـلاثة أقوال:

---

(١) رواه أحمد: (١/ ١٤٥)، وصححـه الألبانـي في «صحيح الجـامع»: (١/ ٨٤١)، وروى مسلم بعضه في كتاب الجنائز: (٢/ ٦٧٢).

(٢) رواه مسلم بلفظ: «أسأل» بدل «نسأل» في كتاب الجنائز: (٢/ ٦٧١).

(٣) رواه مسلم دون قوله: «ومنكم» في كتاب الجنائز: (٢/ ٦٧١).

(٤) رواه مسلم في كتاب الجنائز: (٢/ ٦٦٩).

(٥) رواه البخاري في كتاب الجنائز، باب الصلاة على الشهيد: (٢/ ٩٤).

قيل: إن ذلك مستحب، وهو قول الأكثرين.

وقيل: إنه مباح وليس بمستحب، وهو قول في مذهب مالك وأحمد.

وقيل: بل ذلك منهيٌّ عنه، روي هذا عن طائفة من السلف، وهؤلاء يقولون: نهي عن زيارة القبور، ولم يثبت عندنا أنه نسخ ذلك.

وقد اتفق العلماء على أن النبي ﷺ نهى أولاً عن زيارة القبور، قيل: لأن ذلك مظنة الشرك، وقيل: لأنه مظنة النياحة.

واختلفوا: هل نسخ ذلك؟ فقال الأكثرون: إنه نسخ، وقيل: لم ينسخ/ ، والذين قالوا: إنه نُسخ، قال بعضهم: إنه صيغة افْعَلْ بعد حظر، فلا تفيد إلا الإباحة، فإنه قال: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكركم الآخرة» وقال الأكثرون: إن زيارتها على الوجه الشرعي مستحبة، وهذا هو الصحيح. / ٢٠

تفصيل القول في زيارة القبور

وجماع الأمر، أن زيارة القبور ثلاثة أنواع:

منها: ما هو منهيٌّ عنه باتفاق العلماء كالزيارة التي تتضمن محرماً، إما من الندب والنياحة المحرّمة، وإما من الشرك والبدع المحرمة، فهذان النوعان[1] حرام باتفاق العلماء.

ومنها: ما هو مباح، كزيارة القريب، وإن كان كافراً؛ للرقة عليه، لا للدعاء له، فهذا مثل البكاء على الميت بغير ندب، ولا نياحة، ولا بأس به.

والثالث: أنه يزار ليدعى له، كما كان يزور أهل البقيع، والشهداء، وهذا مستحب، لكن لم يقل أحدٌ من العلماء: إنه يستحب السّفر إليها لزيارتها، فتنازعوا في زيارتها من المكان القريب: هل هو مستحب، أو

(١) في الأصل: «فهذان النوعين».

مكـروه، أو مباح؟ ولـم يتنازعـوا في السّفـر إليها أنـه ليس بمستحـب، فإن المسافـر إليها إنما يسـافر لفعل مـا هو منهي عنـه من الشرك وغيـره، ولهذا يسمونه حجًّا إليها، لا يسافر أحد لمجـرد الدعاء للميت، وإن قدر أنه سافر لذلك فـلا تقوم فضيلة الـدعاء عند القبر بكلفـة السفر الذي هـو قطعة من العذاب، تفوت معه مصالح أنفع من ذلك، وهو مظنة المفسدة.

بخـلاف المسـاجـد، فإن المسلميـن متفقـون على أنـه يشـرع إتيـان المساجد من المكان القريب، وإتيانهـا إما فرض عين، وإما فرض كفاية، أو مستحب، إذا كـان يأتيهـا للعبادة الشـرعية، كـالصلاة المشـروعة فيهـا، والاعتكـاف، والقراءة، وتعلم العلـم، وتعليمه، ومـع هذا فـلا يُشرع السفـر إليها، بـل الأئمة الأربعـة وجمهور العلماء متفقـون على أنـه لو نـذر السّفر إليها لـم يوف بنذره؛ لأن في الصحيحين عنـه ﷺ أنه قال: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى».

زيـارة مسجـد قباء

حتى نص عـامة العلمـاء على أنه لـو نذر السفـر إلى مسجد قبـاء، لم يوف بنذره، وهذا مـذهب الأئمة الأربعة، وأتباعهم، لكن فيـه نزاع شاذ في مـذهب مالـك؛ لأنه نهـى عن السفر إلـى غير المسـاجد الثـلاثة، وإنمـا يستحب إتيانه من قـريب، مثل أن يكون بالمدينة، فيـذهب إليه، كما ثبت في الصحيح عـن ابن عمر: أن النبـي ﷺ كان يأتـي قباء كل سبـت راكباً، وماشياً[1].

وكان يقوم في مسجده يوم الجمعة، ويقـوم في قباء يوم السبت؛ لقوله تعـالى: ﴿لَمَسْجِـدٌ أُسِّسَ عَلَى التقـوى مـن أولِ يومٍ أحـقُّ أن تقومَ فِيْـهِ﴾

(١) رواه بنحوه مسلم في كتاب الحج: (٢/ ١٠١٧).

[التوبة: ١٠٨] وهـذا يتناول مسجده، ومسجد قباء، ومسجـده أحق بذلك من مسجد قباء.

كمـا ثبت فـي الصحيح أنـه سُئل عن المسجـد الـذي أســس على التقـوي فقال: «هـو مسجدي هـذا»[1] أي: هو أحـق بهذا الـوصف/ من غيـره، كما قـال لأهل الكسـاء: علي، وفـاطمة، وحسن، وحسيـن: «اللهم هؤلاء أهـل بيتي فأذهب عنهم الـرجس وطهّرهـم تطهيراً»[2] أي: هم أحق بـذلك مـن غيرهـم، والحصر يكـون حصـراً للكمـال كما تقـول: عبـد الله العالم. وإلا فالقرآن يدلّ على أن مسجد قباء أسس على التقوى، وعلى أن أزواجه من أهل بيته. ٢١/

وإذا كانت المساجد التي يشرع إتيانهـا من غير سفر بالنص والإجماع لا يشـرع السفـر إليهـا، بل [لا][3] يجب إتيـانهـا، فمـا لا يجـب إتيـانـه بالاتفاق، وفي استحبابه نزاع، أولى أن لا يشرع السفر إليها، والجمهور على أن زيارة القبور المأذون فيها نوعان:

نوع يباح في حقّ الميت الكافر والمسلم، فهذا جائز، لما فيه من تذكر الآخرة، كما ثبت في الصحيح أنه قال: «استأذنت ربي في أن أزور قبر أمي فأذن لي، واستـأذنته في أن أستغفـر لها فلـم يأذن لي، فـزوروا القبور فإنهـا تذكركم الآخرة»[4].

(١) رواه بنحوه مسلم في كتاب الحج: (٢/ ١٠١٥).

(٢) رواه بنحوه أحمـد: (٤/ ١٠٧)، والترمـذي في كتـاب المناقب، بـاب مناقـب أهل بيت النبي ﷺ: (٥/ ٣٢٨)، وقـال الهيثمي: «فيه محمـد بن مصعب وهـو ضعيف الحـديث سيء الحفظ رجل صالح في نفسه». «مجمع الزوائد»: (٩/ ١٦٧).
وقال الألباني: «صحيح» كما في «صحيح الترمذي»: (٣/ ٢٢٦ ـ ٢٢٧).

(٣) ساقطة من الأصل.

(٤) رواه مسلم بنحوه في كتاب الجنائز: (٢/ ٦٧١).

والنوع الثاني: زيارتها للسلام على الميت، والدعاء له، فهذا مستحب في حق المؤمنين خاصة، كما كان النبي ﷺ يعلّم أصحابه إذا زاروا القبور أن يقول قائلهم: «السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية» وفي رواية: «يرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين»، وكما ثبت في الصحيح: أنه كان يخرج إلى أهل البقيع فيدعو لهم ويستغفر لهم، وكما ثبت في صحيح البخاري: أنه ﷺ صلّى على قتلى أحد بعد ثمان سنين، كالمودع للأحياء والأموات، فهذه الزيارة من جنس الصلاة على الجنازة، ومن جنس الصلاة على قبر الميت، وهذا مشروع لأهل المصر، وأما سفر الإنسان إلى قبرٍ يصلي عليه، فهذا ليس بمشروع.

الفرق بين النبي ﷺ وبين غيره

ومن هنا يظهر الكلام على المقدمة الثانية، وهي الفرق بين النبي ﷺ وبين غيره، فيقال: هذا كالفرق بينه وبين غيره في الدفن، فإن سنة المسلمين أن يدفنوا في الصحراء تحت السماء، كما كان هو ﷺ يدفن أصحابه في البقيع، ولم يدفن أحداً منهم تحت سقف في بيت، ولا بنى على أحدٍ منهم سقفاً، ولا حائطاً.

بل قد ثبت عنه في الصحيح أنه نهى أن يبنى على القبور، وهو صلى الله عليه وسلم دفن في بيته، تحت السقف؛ وذلك لما بينته عائشة رضي الله عنها من أنه لو دفن في الصحراء لخيف أن يتخذ قبره مسجداً، فإن عامة الناس لما في قلوبهم من تعظيمه ﷺ، قد يقصدون الصلاة عنده، بل قد يرون ذلك أفضل لهم من الصلاة في مكان آخر، كما فعل أهل الكتاب حيث اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، ورأوا الصلاة عندها أفضل

من الصلاة عند غيرها؛ لما في النفوس من الشرك، والذين يفعلون ذلك/ ٢٢/ يرون أنهم يتقربون بذلك إلى الله تعالى، وأن ذلك من أفضل أعمالهم، وهم ملعونون، قد لعنهم الله ورسوله، كما قال ﷺ: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» وهم من شرار الناس، كما قال ﷺ: «إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء، والذين يتخذون القبور مساجد».

دفنه في بيته من خصائصه ﷺ

وفي الصحيحين أنه ذُكر له كنيسة بأرض الحبشة، وذكر من حسنها وتصاوير فيها، فقال: «إن أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً، وصوروا فيه تلك التصاوير، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة»[1]، فلما كان دفنه في بيته من خصائصه؛ لئلا يتخذ قبره مسجداً، فهو ﷺ قد نهى أن يتخذ قبره عيداً، أي يجتمع عنده في أوقات معتادة، فقال: «صلُّوا عليّ حيثما كنتم، فإن صلاتكم تبلغني»[2] فكذا زيارة قبر غيره من عموم المؤمنين للسلام عليه والدعاء له، لايفضي إلى أن يتخذ قبره مسجداً، وعيداً، ووثناً، وأما هو ﷺ فقد دفن في بيته؛ لئلا يتخذ قبره مسجداً.

ومقصود الزيارة في حق غيره إنما هو السلام عليه، والدعاء له، كالصلاة على جنازته، والرسول ﷺ قد أمرنا أن نسلم عليه في صلاتنا، ونصلي عليه، وصلاتنا وسلامنا يصل إليه حيث كنا، وهذا لم نؤمر به في حق غيره على الخصوص، فغيره إذا زرنا قبره قد يحصل له من دعائنا له ما

(١) رواه البخاري في كتاب الصلاة، باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية: (١/ ١١٠ ـ ١١١)، ومسلم بنحوه في كتاب المساجد: (١/ ٣٧٥ ـ ٣٧٦).

(٢) رواه أبو داود في كتاب المناسك، باب زيارة القبور: (٢/ ٢١٨)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع»: (٢/ ١٢١١).

لا يحصل بدون ذلك من غير مفسدة فيه، كالصلاة على جنازته، وأما هو ﷺ فلا يحصل له بزيارتنا فائدة، بل ولا تمكن زيارة قبره، فإنه دُفن في بيته، وحجب قبره عن الناس، وحيل بين الزائر وبين قبره، فلا يستطيع أحد أن يزور قبره كما تُزار سائر القبور، وإنما يمكن الوصول إلى مسجده، ومسجده مبني قبل القبر، والعبادة فيه عبادة لله في بيته، ليس ذلك زيارة للقبر.

لايستطيع أحد أن يزور قبره ﷺ كما تزار سائر القبور

ولهذا لم ينقل عن أحدٍ من السلف أنه تكلم بزيارة قبره فإن ذلك غير ممكن، ولهذا كرههامن كرهها؛ لأن مسماها باطل، وإنما الممكن الصلاة والسلام عليه في مسجده، وذلك مشروع في جميع البقاع، ليس هو من زيارة القبور، فأما إذا صلينا عليه، وسلمنا عليه في مسجده وغيره من المساجد، لم نكن[1] زرنا قبره.

ولكن كثير من المتأخرين صاروا يسمون الدخول إلى مسجده مع السلام عليه عند الحجرة: زيارة لقبره، وهذه التسمية مبتدعة في الإسلام، ومخالفة للشرع، والعقل، واللغة، لكن قد شاعت، وصارت اصطلاحاً لكثير من العلماء، وصار منهم من يقول: زيارة قبره مستحبة بالإجماع،

/ ٢٣ والزيارة/ المستحبة بالإجماع هي الوصول إلى مسجده، والصلاة والسلام عليه فيه، وسؤال الوسيلة ونحو ذلك، فهذا مشروع بالإجماع في مسجده، فهذه هي الزيارة لقبره المشروعة بالإجماع، فالمعنى المجمع عليه حق، ولكن تسمية ذلك زيارة لقبره هو محل النزاع.

وكذلك تنازعوا: هل يستقبل الحجرة أو يستقبل القبلة؟ كما ذكر في موضعه. فإنا مأمورون بالصلاة والسلام عليه وسؤال الوسيلة له في كل مكان، وذلك يحصل به أعظم من مقصود الزيارة لقبره، لو كانت ممكنه، مع أنها مظنة اتخاذ قبره مسجداً، وعيداً، ولما كانت مظنة اتخاذ قبره عيداً

(١) في الأصل: «يكن».

ومسجداً؛ حجب قبره عن الناس، ومنعوا من هذه الزيارة، فما بقي يمكن أن يتخذ قبره لا مسجداً، ولا وثناً، ولا عيداً، فلما كان الخير الذي يقصد بزيارة القبور، والمصلحة، يحصل بالصلاة والسلام عليه، وطلب الوسيلة له، في أي مكان، أفضل مما يحصل عند القبور؛ لم يكن في الزيارة فائدة تخصّ بها، وفيها مفسدة، وهو كونها ذريعة إلى الشرك، فلهذا فرّق بينه وبين غيره، كما نهي عن اتخاذ القبور مساجد، وعن اتخاذ قبره عيداً، مع أن المساجد يعبد الله فيها، لكن إذا كانت على القبور كانت مظنة الشرك.

والصلاة والسلام عليه عند قبره حسن، لكن لو تمكن الناس من ذلك اتخذوه عيداً، وصاروا ينتابونه بجماعتهم في أوقات كالأعياد، وأفضى ذلك إلى الشرك، فلهذا نهى عنه، ولما نهى عنه منع أصحابه الناس من ذلك، فما بقي أحد يمكنه أن يزور قبره، كما تزار سائر القبور، وإنما يمكن دخول مسجده، وهذا هو الذي يعنيه الناس بزيارة قبره، وهي تسمية غير مطابقة.

وهذا من أحسن ما يعلل به كراهة من كره أن يقال: زرت قبره، فإن الزيارة المعروفة للقبور هي في قبره مما ليس بمقدور، ولا مأمور، بل قد فرّق الله بين قبره وبين سائر القبور من جهة المأمور به، ومن جهة المنهي عنه، فقبره عنده مسجده المؤسس على التقوى، الذي شرع للناس السفر إليه، وغيره ليس عند قبره مسجد يسافر إليه، بل قد يكون عنده مسجد ينهى عنه. وأما النهي: فقبره لا يمكن أحداً أن يفعل عنده منكراً، بل ولا يصل إليه، بخلاف قبر غيره.

وقد كره مالك وغيره أن يقال: زرت قبر النبي ﷺ، وإن لم يكره ذلك

في حق غيره، وقد علل ذلك بأنواع من العلل، منها: بعدم[1] ورود ذلك في قبره، ومنها: أن يتوقى في إطلاق هذا اللفظ عليه إجمالاً يتناول الزيارة البدعية، زيارة أهل الشرك، الذين يزورون القبور للسجود لها، ودعاء أهلها، واتخاذها أوثاناً من دون الله، واتخاذها مساجد، وما هو أعظم من اتخاذها مساجد.

وكثير من الناس لا يقصدون بزيارة قبور الأنبياء والصالحين إلا مقاصد أهل الشرك، الذين يجعلونهم أوثاناً، وأنداداً لله، وهم شر من الذين اتخذوها مساجد، فإن أولئك يقصدون/ أن يصلوا فيها لله، ويدعون الله، / ٢٤
وهؤلاء إنما يقصدون دعاءهم، والحج إليهم، فيجعلون صلاتهم، ونسكهم، للمخلوق، لا للخالق. يقصد أحدهم في زيارة قبر من يعظمه ما يقصده الحاج في الحج إلى بيت الله، وما يقصده المصلي الذي يقصد مساجد الله، فالحاج والمصلي مسلم حنيف متبع لملة إبراهيم، قال تعالى: ﴿قُل إنني هَدَاني رَبي إلى صراط مستقيمٍ ديْناً قيماً مِلةَ إبرَاهيمَ حنيفاً وَمَا كَانَ من المُشْركينَ قُل إن صَلاتي ونُسكي وَمَحيايَ وَمَمَاتي لله ربِّ العالمينَ لا شَريْكَ لَهُ﴾ [الأنعام: ١٦١ ـ ١٦٣].

المشركون يحجون إلى القبور

فالمسلم صلاته ونسكه لله، والمشرك يصلي لغير الله، وينسك لغير الله، ويدعو المخلوق، ويستغيث به، ويتضرع إليه، كما يفعل بالخالق، ويحج إلى قبره، كما يحج إلى بيت الخالق، ويسمون ذلك نسكاً، ويصنفون كتباً يسمونها: مناسك حج المشاهد، كما صنّف محمد بن

---

(١) في الأصل: «بعد رد لك» ولعل ما أثبته هو الصواب.

النعمان[1] الملقب بالمفيد، وغيره، مناسك حج المشاهد، ومنهم من يفضل الحج إلى بيوت المخلوقين على الحج إلى بيت الخالق، ويقولون: هذا الحج الأكبر، وحج البيت هو الحج الأصغر، ومن الناس من يقول: وحق النبي الذي تحج المطايا إليه، فيجعلون الحج إلى المخلوق.

ولمّا كان السفر إلى المساجد الثلاثة مشروعاً، والمسجدان الأفضلان في الحرمين: الحرم المكي، والحرم المدني؛ صار الناس يقولون لمن حج إلى بيت الله: فلان حج الحرمين، فإن السفر المشروع إلى المدينة من جنس الحج المشروع، لكنه مستحب، والمنهي عنه من جنس الحج المنهي عنه، وهذا موجود في المنتسبين إلى السُّنّة والشّيعة، ومنهم من يقال له: أتبيع زيارتك لشيخك بحجة، أو ثنتين أو ثلاثة، أو عشر حجج؟ فيقول: لا، ويعتقد أن زيارة شيخه مرة أفضل من عشر حجج.

تعظيم المشركين للقبور

ومنهم من يحج فيأتي إلى المدينة، ثم يرجع ولا يذهب إلى مكة، ويقول: حصل مقصودي من الحج، ومنهم من إذا سافر إلى مكان يضاف إلى نبي، كالمكان المضاف إلى يوسف بمصر، يُحْرِم إذا ذهب إليه كما يحرم الحاج، ومنهم من يستقبل قبر شيخه إذا صلى، ويستدبر الكعبة، ويقول: هذه قبلة الخاصة، والكعبة قبلة العامة، وهذا موجود في كثير من أعيان العباد والزُّهاد وممن له قصد وعلم.

وأما غير هؤلاء فمنهم من يصلي إلى القبر، ومنهم من يسجد له،

---

(١) محمد بن محمد بن النعمان بن عبد السلام العكبري، يعرف بابن المعلم، انتهت إليه رئاسة الشيعة في وقته، له نحو مائتي مصنف، وقد أكثر من الطعن على السلف، توفي سنة ٤١٣هـ. انظر ترجمته في «الأعلام»: (٧/ ٢٤٥).

ومنهم من يسجد من باب المكان المبني على القبر، ومنهم من يستغني بالسجود لصاحب القبر عن الصلوات الخمس، فيسجدون لهذا الميت ولا يسجدون للخالق، وقد يكون ذلك الميت ممن يظن به الخير، وليس كذلك، كما يوجد مثل هذا في مصر،والشام، والعراق، وغير ذلك.

ومنهم من يطلب من الميت ما يطلب من الله، فيقول: اغفر لي، / ٢٥ وارزقني، وانصرني، ونحو ذلك/ كما يقول المصلي في صلاته لله تعالى، حكم من يعظم القبور إلى أمثال هذه الأمور التي لا يشك من عرف دين الإسلام أنها مخالفة لدين المرسلين أجمعين، فإنها من الشرك الذي حرمه الله ورسوله، بل من الشرك الذي قاتل عليه الرسول ﷺ المشركين، وأن أصحابها إن كانوا معذورين بالجهل، وأن الحجة لم تقم عليهم، كما يعذر من لم يبعث إليه رسول، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حتّى نبعثَ رَسُولاً﴾ [الإسراء: ١٥] وإلا كانوا مستحقين من عقوبة الدنيا والآخرة ما يستحقه أمثالهم من المشركين، قال تعالى: ﴿فَلَا تَجعلُواْ لله أندَاداً وَأَنْتُمْ تعلمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢] وفي الحديث: «إنّ الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل»[1].

والذين يؤمنون بالرسول، إذا تبين لأحدهم حقيقة ما جاء به الرسول، وتبين أنه مشرك، فإنه يتوب إلى الله، ويجدد إسلامه، فيسلم إسلاماً يتوب فيه من هذا الشرك، ولم يكن في الصحابة والتابعين من يقصد زيارة أحد لأجل هذا، لا قبر النبي ﷺ ولا قبر غيره، ولا كان أحدٌ منهم بعد السلام على

(١) رواه أحمد بنحوه: (٤/ ٤٠٣)، وقال الهيثمي: «رواه أحمد، والطبراني في الكبير والأوسط، ورجال أحمد رجال الصحيح غير أبي علي، ووثقه ابن حبان». «مجمع الزوائد»: (١٠/ ٢٢٣ ـ ٢٢٤).

النبي ﷺ يقف يدعو لنفسه ولغيره، بل ولا كانوا يطيلون القيام عنده للدعاء له، بل كما كان ابن عمر يسلم وينصرف، يقول: السلام عليك يارسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبت، ثم ينصرف، ولما حدث قوم يطيلون القيام يدعون للنبي ﷺ أنكر ذلك مالك وغيره من العلماء، وقالوا: هذا بدعة لم يفعلها السلف، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها.

لم يكن الصحابة يدعون لأنفسهم عند قبر النبي ﷺ

وكان الصحابة إذا أرادوا أن يدعوا، دعوا في المسجد، واستقبلوا القبلة، ودعوا الله في بيته، لا يستقبل أحدهم القبر ويدعو، هذا وهم يدعون الله تعالى وحده، وأما دعاء الرسول، أو طلب الحوائج منه، فهذا لم تكن الصحابة تعرفه البتة، وقد أصابهم ضرورات في الدين والدنيا، مثل الجدب الذي أصابهم عام الرمادة، وغيره، ومثل الخوف الذي كان يصيبهم في قتال الكفار، فيخافون أن ينتصر الكفار على المؤمنين، ومثل الذُّنوب التي يصيبها من يصيبها منهم.

ولا يُعرف عن أحدٍ من الصحابة أنه طلب من النبي ﷺ بعد موته حاجة، لا زوال الجدب، ولا النّصر على العدو، ولا غفران الذنوب، لا يطلبه منه، ولا يشكيه إليه، ولا يقول: ادع الله لنا،/ بل قد ثبت في الصحيح: أنهم /٢٦
عام الرمادة لما أجدبوا استسقى عمر بالعباس وقال: اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعمّ نبينا. فيسقون[1].

(١) رواه البخاري بدون كلمة «إذا أجدبنا» في كتاب الاستسقاء، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا: (٢/ ١٦)، وفي كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب ذكر العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه: (٤/ ٢٠٩).

طلب الدعاء من الرسول ﷺ في حياته

وكانوا في حياته إذا أجدبوا؛ توسلوا بنبيهم ﷺ، توسلوا بدعائه، وطلبوا منه أن يستسقي لهم، كما في الصحيح عن ابن عمر قال: ربما ذكرت قول الشاعر وأنا أنظر إلى وجه رسول الله ﷺ:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه

ثمال اليتامى عصمة للأرامل[(١)]

ورسول الله ﷺ يستسقي على المنبر، فما نزل حتى يجيش له ميزاب[(٢)].

وفي الصحيحين عن أنس قال: جاء [رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يارسول الله: هلكت المواشي، وانقطعت السبُل، فادع الله، فدعا رسول الله ﷺ فمطروا من جمعة إلى جمعة، فجاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يارسول الله: تهدمت البيوت، وتقطعت السبُل، وهلكت المواشي. فقال رسول الله ﷺ: «اللهم على رؤوس الجبال والآكام والأودية ومنابت الشجر» فانجابت عن المدينة انجياب الثوب][(٣)].

فكانوا في حياته يتوسلون بدعائه، ويستسقون به، فلما مات توسلوا

---

(١) البيت من قصيدة لأبي طالب تربو على ثمانين بيتاً قالها لما تمالأت قريش على النبي ﷺ ونفّروا عنه من يريد الإسلام، انظر «السيرة النبوية» لابن هشام: (١/ ٢٧٦)، و«فتح الباري»: (٢/ ٤٩٦).

(٢) رواه البخاري في كتاب الاستسقاء، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا: (٢/ ١٥).

(٣) ما بين المعقوفتين غير موجود في الأصل، وقد جاء في الأصل: «جاء أعرابي» ثم بياض، فآثرت نقل لفظ البخاري، والحديث رواه البخاري في كتاب الاستسقاء، باب الدعاء إذا انقطعت السبل من كثرة المطر: (٢/ ١٨) ومسلم بنحوه في كتاب صلاة الاستسقاء: (٢/ ٦١٢ ـ ٦١٤).

بدعاء العبّاس، واستسقوا به؛ لكونه عمّه.

وكذلك الحديث الذي رواه الترمذي، والنّسائي، وابن ماجه، وغيرهم، عن عثمان بن حنيف: أن رجلاً أعمى أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله: ادع الله لي أن يردّ عليّ بصري. قال: «إن شئت دعوت، وإن شئت صبرت فهو خير لك» قال: فادعه. فأمره أن يتوضأ، ويصلي ركعتين، ويدعو بهذا الدعاء: «اللهم إني أسألك، وأتوجه إليك بنبيّك محمدٍ نبي الرحمة، يا رسول الله، يا محمد، إنّي توجهتُ بك إلى ربي في حاجتي هذه لتُقضى، اللهم فشفّعه فيّ»[1] قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

فهذا طلب من النبيّ ﷺ أن يدعو له، ليرد الله عليه بصره، فأمره النبي ﷺ أن يدعو هو أيضاً ويسأل أن يقبل الله شفاعة نبيه فيه، وقوله: «أتوجه إليك بنبيك» أي: شفاعة نبيك بدعائه، فكان الرسول ﷺ شافعاً له، وهو سائل قبول شفاعة الرسول، فهذا كان توسل الصحابة به في حياته، فلما مات توسلوا بدعاء غيره، كدعاء العبّاس، وكما استسقى معاوية بيزيد بن الأسود الجرشي[2].

توسل الصحابة بدعاء الصالحين

/ ٢٧

/ ولم يكونوا في الاستسقاء وغيره بعد موته يقولون: اللهم إنا

---

(١) رواه الترمذي في كتاب الدعوات، أحاديث شتى من أبواب الدعوات: (٥/ ٢٢٩)، وابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة، باب ما جاء في صلاة الحاجة: (١/ ٤٤١)، وأحمد: (٤/ ١٣٨)، والحاكم في «مستدركه» في كتاب الدعاء: (١/ ٥١٩)، وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي في «تلخيصه».

(٢) يزيد بن الأسود الجرشي، من سادة التابعين بالشام، أسلم في حياة النبي ﷺ، توفي سنة ٧١هـ. انظر ترجمته في «التاريخ الكبير» للبخاري: (٨/ ٣١٨)، «البداية والنهاية»: (٨/ ٣٢٤)، «سير أعلام النبلاء»: (٤/ ١٣٦ ـ ١٣٧).

نستشفع، أو نتوسل، أو نتوجه؛ لأنه لن[1] يشفع لهم في ذلك، وإنما يتوسل، ويستشفع ويتوجه به، فيما كان شفيعاً فيه ﷺ، ولا طلبوا منه بعد موته أن يشفع لهم، ويدعولهم، كما تفعله النّصارى، فيطلبون الشفاعة من الموتى، الأنبياء وغيرهم، فإن الميت قد انقطع عنه التكليف، ليس هو كالحي الذي يطلب منه ما هو مأمور به من عبادة وطاعة ونفع الغير، فإن الحي إذا طلب منه أن يعين غيره بدعاء، أو شفاعة، أو نفع، أو صدقة، فقد طلب منه ما يأمره الله به من الإحسان، والميت ليس مأموراً بشيء أمر تكليف؛ لانقطاع التكليف بالموت، بل هو بمنزلة أهل الجنة، والملائكة، يفعل ما أريد منه، فما أراده الله منه حصل، سواء طلب ذلك منه الحي أو لم يطلبه، وما لم يرده منه لم يحصل، فليس في سؤال الحي للميت فائدة للحي، ولا للميت، بل فيه شرك بالميت، وإيذاء له، فإن دعاءه يؤذيه، وليس فيه فائدة للحي، بل فيه ظلمه لنفسه، وشركه بربه، وإيذاؤه للميت، ففيه أنواع الظلم الثلاثة.

سؤال الميت فيه أنواع الظلم الثلاثة

السفر لزيارة القبور

وهؤلاء الذين يزورون زيارة أهل الشرك والبدع، هم الذين يسافرون إلى قبورهم لذلك، وهو حج لهم، والله سبحانه يحرّم أن يحج إلى بيت غيره. ولا يحجّ إلى جميع بيوته، بل لا يسافر إلا إلى ثلاثة مساجد، والسفر إلى المسجد الحرام للحج[2] واجب، [وإلى][3] كل واحد من الثلاثة

(١) في الأصل: «لم».
(٢) في الأصل: «حج».
(٣) غير موجود في الأصل.

سفر إلى بيت الله الذي بناه نبي من أنبيائه، لعبادته، ودعائه.

فهؤلاء إذا زاروا القبور هذه الزيارة المحرمة، فهم منهيون عن ذلك من القرب ومن البعد.

وأما الذين يزورون زيارة شرعية؛ للسلام على أهلها، والدعاء لهم، فهذا هو الذي يفرق فيه بين القريب والبعيد، وهذا قليل جدًّا أن يقصد بالسّفر مجرد السّلام، والدُّعاء للميت.

وقد يأتي الرّجل القبر محبّة وشوقاً لا لقصد سلام، ولا دعاء لله، ولا لقصد دعائه[1]، فهذا يقال له: إذا صليت وسلّمت حيث كنت؛ وصل صلاتك وسلامك، وكان ذلك أنفع لك عند الله، وأحبّ إلى رسول الله ﷺ، فإنه يحب من[2] يصلّي عليه، ويسلّم عليه، ويسأل الله له الوسيلة، وهو لا يحبّ من يخالف أمره، ويفعل ما نهاه عنه، ويتّخذ قبره عيداً، ويسافر إليه، كما يسافر إلى بيوت الله الثلاثة، ويطلب منه ما يطلب من الله، ويؤذيه بسؤاله، ورفع صوته.

بل لو كان حيًّا مأموراً بأن يعطي السائل؛ لكان من لا يسأله أحبّ إليه،/ ولكان سؤاله منهيًّا عنه، إلا لأجل الضرورة، وقد قال ﷺ: «إنّ أحدهم ليسألني المسألة فأعطيه إيّاها فيتأبطها ناراً» قالوا: يارسول الله: فلم تعطهم؟ قال: «يأبون إلا أن يسألوني، ويأبى الله لي البخل»[3] وقال: «من سألنا أعطيناه، ومن لا يسألنا أحبّ إلينا ممن سألنا»[4] هذا وهو /٢٨

(١) في الأصل: «الدعائه».

(٢) في الأصل: «لمن».

(٣) رواه أحمد بنحوه: (٣/ ١٦). وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد»: (٣/ ٩٤): «رجال إسناده رجال الصحيح».

(٤) قال العراقي في تخريجه للإحياء عن هذا الحديث: «رواه ابن أبي الدنيا في القناعة، =

مكلّف في حياته، قد قيل له: ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ﴾ [الضحى: ١٠].

وأما بعد موته ﷺ فليس هو مكلفاً، ولا مأموراً بما كان مأموراً به في الدنيا من إعطاء السائل، وتأمير الأمراء، وأمر الناس، ونهيهم، بل قد بلّغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حقّ جهاده، وعبد الله حتى أتاه اليقين من ربّه، ونحن علينا أن نطيعه، فبطاعته تنال سعادة الدنيا والآخرة.

□ □ □

= والحارث بن أبي أسامة في مسنده، من حديث أبي سعيد الخدري، وفيه حصن بن هلال لم أر من تكلم فيه وباقيهم ثقات» انظر تخريج أحاديث إحياء علوم الدين رقم الحديث ٢٢٦٥ ـ ٢٢٦٦. كما عزاه الساعاتي في «الفتح الرباني» إلى ابن أبي شيبة، وقال: «وفيه هلال بن حصن، لم أقف على من ترجمه وبقية رجاله ثقات».. «الفتح الرباني» ٩/ ١١١. وقد رواه أحمد بمعناه في المسند ٣/ ٤٤.

«فصــــــل»

من الفروق بينه وبين غيره ﷺ

وممّا يبيّـن الفرق بينـه وبين غيره مـع ما تقـدّم: أنّا مأمـورون أن نسلّم عليه في كلّ صـلاة، فنقول: «السّلام عليك أيُّها النبي ورحمة الله وبـركاته» وليس هـذا لغيره، ومأمـورون أن نصلّي عليه إذا دعـونا، نقـدمه في الـدعاء على أنفسنا، فإنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وفي الصحيح عنه أنه قال: «ما مـن مؤمن إلا أنـا أولى به فـي الدنيـا والآخرة، اقـرأوا إن شئتم: ﴿النبيُّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾[1] [الأحزاب: ٦]».

فقد بيّن أنه أولى بكلّ مؤمن من نفسه في الدنيا والآخرة، ولا يؤمن عبد حتى يكـون أحبّ إليه من ولـده ووالده والنّـاس أجمعين[2]، أخرجـاه في الصحيحين. وقـال له عمر: لأنـت أحبّ إليّ من كل شـيء إلا من نفسي، فقـال: «لا يا عمـر حتّـى أكون أحـبّ إليك من نفسـك» فقـال: والله لأنت أحبّ إليّ من نفسي، قال: «الآن ياعمر»[3] رواه البخاري.

نحن مأمـورون بأن نسأل له الوسيلة

ونحن أيضـاً مـأمـورون بأن نسأل لـه الـوسيلـة عنـد الأذان، كمـا في الصحيح لمسلـم أنه قـال: «إذا سمعتم المؤذن فقـولوا مثـل ما يقـول، ثم

---

(١) رواه بنحوه البخاري في كتاب التفسير ـ سورة الأحزاب ـ الباب الأول: (٦/ ٢٢).

(٢) رواه البخاري بلفظ: «لا يؤمـن أحدكم حتى أكون أحب إليه..» في كتـاب الإيمان، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان: (١/ ٩)، ومسلم في كتاب الإيمان: (١/ ٦٧).

(٣) رواه البخاري في كتاب الأيمان والنذور، باب كيف كانت يمين النبي ﷺ: (٧/ ٢١٨).

سلوا الله لي الوسيلة، فإنها درجة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا ذلك العبد، فمن سأل الله لي الوسيلة حلّت عليه شفاعتي يوم القيامة»[١].

وفي صحيح البخاري أنه قال: «من قال حين يسمع النداء: اللهم ربّ هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمداً الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته، إلا حلّت عليه شفاعتي يوم القيامة»[٢].

فهذه الأنواع من الأدعية هي حقّ له علينا نفعله في كل صلاة، وعند كل أذان، وفي كل مكان، وليس هذا لغيره من الأنبياء والصالحين، والمشروع عند القبر إنما هو السّلام عليه، فإن هذا مشروع لمن كان يصل إلى قبره، لما كانوا يدخلون على عائشة، كما يشرع السّلام على سائر موتى المؤمنين، وأما من لم يدخل إلى قبره، فإن كان بعيداً فقد تعذر عليه

/ ٢٩ هذا السّلام، ثم قيل: كل من خرج/ عن الحجرة فهو بعيد، وقيل: بل القريب إليها كالداخل فيها[٣].

السلام عليه في الصلاة أفضل

والسّلام عليه في الصّلاة أفضل، وأكمل، وأشمل، والسّلام عليه في المسجد في غير الصّلاة، كما يصلي عليه في المسجد في غير الصلاة، هو مشروع باتفاق العلماء، لكن قيل: إنه يستقبل الحجرة، وهو سلام التحية، وقيل: بل يستقبل القبلة، وإن ذلك ممتنع لا يمكن إلا إذا وصل إلى القبر، وذلك ممنوع منه بالحجاب؛ لأنه يفضي إلى المفسدة، فلهذا

---

(١) رواه مسلم بنحوه في كتاب الصلاة: (١/ ٢٨٨).

(٢) رواه البخاري في كتاب الأذان، باب الدعاء عند النداء: (١/ ١٥٢).

(٣) في الحاشية كلمة غير واضحة.

استغنى بهذا عن ذاك.

ولهـذا كـان عامـة الصّحـابـة يقـدمون المـدينـة على عهـد الخلفـاء الـراشدين، أبـي بكر، وعمـر، وعثمـان، وعلي، يأتـون إلى الخليفـة لبعض مصالح المسلميـن، ويصلُّون خلفهم في مسجده، ويسلّمـون خلفهم في مسجـده، ويسلّمون عليـه في الصّـلاة، كما شـرع لهم ذلك، ولـم يكونـوا يذهبون إلى قبره لا لسلام، ولا دعاء، ولا غير ذلك، وهذا مما يعلم بالضرورة أنهم لم يكونوا يفعلونه، فإنهم لو فعلوه لنقل نقلاً متواتراً لظهور مثل هذا لو فعل في مسجده.

ولهذا اتفق العلماء على أنّه لا يشـرع لأهل المدينة إذا دخلوا المسجد وخرجوا أن يقفـوا عند الحجرة، وإنما رخص من رخص عنـد السفر لأجل فعل ابـن عمر، وللغـرباء؛ لأنـه كثـر في التّـابعين ما لـم يكن مشهـوراً في الصّحـابة مـن الوقـوف عند القبـر للسّـلام، وإن كان كثيـر من التـابعين لا يفعلـون ذلك، بـل إذا سلّمـوا عليـه استقبلـوا القبلـة، كمـا كـان جمهـور الصحابـة يفعلون، فإن الصّحـابة لم يكـونوا يقفـون في المسجد بجـانب القبر، ولا كانـوا يكثرون من الدخول، بـل ولا كانوا يكثرون من الـدخول إلى عند القبـر، بل دفن في الحجرة، ومنع النّـاس أصحابه، وغير أصحـابه، من الدخول إلـى عند قبره، وإنما كان يـدخل من يدخل إلى عـائشة رضي الله عنها وكانـت ناحية في الحجرة عـن القبر، وربما طلب منها أحيـاناً بعض التابعين أن تريه القبر، فتريه إياه، ليعرف السُّنة في القبور وأنها تكون لاطية، لا مشرفة.

فلمّا مـاتت عائشة، منع النـاس منعاً عامـاً، وكان الدخـول ممكناً مع وجود البـاب، فلما سدّت الحجـرة، وبني الحائط البـرَّاني؛ صار الـدخول إلى قبره، والزيارة له كما يزار قبر غيره، غير مقدور، ولا مأمور.

ولو كان إتيان قبره لصلاة أو دعـاء، أو سلام، أو طلب حوائج، مما سنّه لهم؛ لكان يكون باب الحجرة مفتوحـاً لجميع المسلمين، وكانوا يقصدونه لذلك، كمـا أن مسجده لمّا كـان إتيانه للصّـلاة، والدُّعاء، والسّـلام عليه، في الصّلاة، وغيـر الصّلاة، مشروعاً، كـان مفتوحاً للمسلمين يقصـدونه في كل وقت، ويسافـرون إليه من الأمصار، ولهـذا لما كانت الصّلاة عليـه بعد الموت، وقبـل الدفن، ــ صلاة الجنـازة ـ مشـروعة؛ فتحـوا باب الحجـرة لجميع الصّحابة، فكـان كل منهم يدخل فيصلي عليه، ثـم يخرج، وصلّوا عليه أفـذاذاً، لم يؤمّهم في الصّلاة عليـه أحد، وعائشة رضـي الله عنها في ناحية الحجرة.

/ ٣٠ لو كان إتيان قبره مشروعاً لكانت الحجرة مشرعة

فلو كـان إتيان قبـره بعد دفنـه كإتيانـه قبل الـدفن/ ؛ لكانـت الحجرة مشرعـة للمسلمين، كلّهم يأتي قبـره ليفعل ما سنّه للمسلميـن، فلمّا اتفق الصّحابـة على أنهم يـدفنونـه في الحجرة، ولا يمكن النّـاس من الـدخول عليه، فلم يمكـن أصحابه، ولا غير أصحـابه، من الدخـول إلى الحجرة إلا صاحبة الحجرة، ومن دخل إليها؛ علم أن إتيـان قبره لم يكن مما سنّه لهم وأمرهم به، بخلاف السّلام عليه في الصّلاة، وخارج الصّلاة، في مسجده، وغير مسجـده، فإنــه مما سنّه لهـم، وأمرهم بـه، كما أمـروا بالصـلاة عليه، والسّلام عليه من جنس الصلاة عليه، وقـد أمروا في القرآن بهذا وهذا، كما قال تعالى: ﴿إنّ الله ومَـلائِكَتَهُ يُصلُّون عَلَى النبيّ يَا أيُّهَا الـذينَ آمنُواْ صَلُّواْ عَلَيهِ وَسَلّمُواْ تَسليماً﴾ [الأحزاب: ٥٦].

وهو لم يكتف بأنه لم يأمرهم بإتيان قبره، وزيارته في حجرته، والدعاء عنده، والصلاة؛ بل نهاهم عن ذلك، فقال في مرض موته: «لعن الله اليهود

والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» يحذر ما فعلوا، قالت عائشة: ولولا ذلك لأبرز قبره، ولكن كره أن يتخذ مسجداً.

وقال لهم قبل موته بخمس: «إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك»[1].

وقال: «لا تتخذوا قبري عيداً، وصلُّوا عليّ حيثما كنتم، فإن صلاتكم تبلغني».

وقال: «اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد، اشتدّ غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد».

ومالك وغيره من أئمة المسلمين علموا أنه لم يأمر بزيارة قبره، فلم يقل: زوروا قبري، ولا رغّب في زيارة قبره، بل كل حديث روي في زيارة قبره فإنه ضعيف، بل كذب موضوع، ولهذا لم يرو أئمة المسلمين منها شيئاً، ولا اعتمدوا على شيء منها، فلم يخرج أصحاب الصحيح منها شيئاً، ولا خرج أهل السنن المعتمدة ـ كسنن أبي داود، والترمذي، والنسائي ـ منها شيئاً، ولا روى أحمد بن حنبل وأمثاله في مسنده منها شيئاً، ولا مالك، ولا الشافعي، ولا نحوهم، وإنما يرويها مثل الدارقطني، وهو يعلم أنها ضعيفة.

كل حديث رُوي في زيارة قبره فإنه ضعيف

وقد روى البزار في مسنده منها حديث عبيد الله بن عمرو، وهو ضعيف باتفاقهم، ولفظه: «من زارني بعد مماتي كنت له شفيعاً يوم القيامة»[2] وعن ابن عمر لفظاً آخر.

وهم يروون أنه قال: «من زارني بعد مماتي فكأنما زارني في

---

(١) رواه بنحوه مسلم في كتاب المساجد: (١/ ٣٧٧ ـ ٣٧٨).

(٢) رواه بنحوه الطيالسي كما في «منحة المعبود»، كتاب الحج والعمرة، باب طواف الوداع.. (١/ ٢٢٨) وابن عدي في «الكامل»: (٦/ ٢٣٥٠)، وقال ابن عبدالهادي: =

حياتي»[1] وهذا انفرد به حفص القاري[2] عن ليث بن أبي سليم[3]، وقد اتفقوا على ضعفه في الحديث، وأنكروا عليه هذا الحديث، وكذلك الأول، أنكروا على من رواه عن عبدالله بن عمر أخي عبيد الله، مع ضعف في عبيد الله، كما قد بسط هذا في مواضع.

وهذا أيضاً كذب مخالف لدين الإسلام، فإن الذين كانوا يزورونه[4]

/٣١ في حياته، هم الذين هاجروا/ إليه، وبايعوه على الإسلام، كالوفود الذين كانوا يقدمون إليه، وأولئك من أصحابه، فلو أنفق الرجل مثل أُحُد ذهباً، ما بلغ مُد أحدهم ولا نصيفه، فإذا كان بالأعمال الواجبة لا يصير مثل

= «هذا الحديث ليس بصحيح؛ لانقطاعه، وجهالة إسناده، واضطرابه». «الصارم المنكي»: ص٧٩. ولم أجد من نسب هذا اللفظ للبزار، وإنما رواه البزار بلفظ: «من زار قبري حلّت له شفاعتي» وقال الهيثمي: «وفيه عبدالله بن إبراهيم الغفاري، وهو ضعيف». انظر «مجمع الزوائد»: (٤/ ٢)، و«كشف الأستار»: (٢/ ٥٧).

(١) رواه الطبراني في معاجمه الثلاثة بألفاظ مختلفة وأسانيد ضعيفة كما ذكر الهيثمي في «مجمع الزوائد»: (٤/ ٢)، وقال ابن عبدالهادي: «مجهول الإسناد، مضطرب اضطراباً شديداً». «الصارم المنكي»: ص ٩١. وقال في «كشف الخفاء»: «وعند أبي الشيخ والطبراني، وابن عدي، والدارقطني، والبيهقي، ولفظهم: «كمن زارني في حياتي» وضعفه البيهقي «كشف الخفاء»: (٢/ ٥١).

(٢) حفص بن سليمان الأسدي القاري، قال ابن معين: ليس بثقة، وقال ابن المديني: ضعيف الحديث، وتركته على عمد، وقال البخاري: تركوه. توفي سنة ١٨٠هـ. انظر ترجمته في «تهذيب التهذيب»: (٢/ ٤٠٠ ـ ٤٠٢)، و«الخلاصة»: ص ٨٧.

(٣) ليث بن أبي سليم بن أبي زنيم قال النووي: «اتفق العلماء على ضعفه واضطراب حديثه، واختلال ضبطه، توفي سنة ١٤٣هـ». انظر ترجمته في «تهذيب الأسماء واللغات»: (٢/ ٧٤ ـ ٧٥)، «الخلاصة»: (٣٢٣).

(٤) في الأصل: «يزوروه».

أحدهم، فكيف يصير بعمل ليس بواجب، بل ولا مسنون؟

وأما من يروي أنه قال: «من زارني وزار أبي في عام واحد ضمنت له على الله الجنّة»[1] فهذا أعظم كذباً من غيره، وقد قيل: إن هذا لم يسمع حتى استنقذ المسلمون القدس من أيدي الفرنج، ونقل هذا ابن الصّلاح عن شيوخه وغيره، ولم ينقل عن أحدٍ من الصّحابة استحباب زيارة قبره، بل قد علم بالنقل المتواتر أنه كان يكون في حجرته، وهم لا يزورون قبره، لا من داخل الحجرة، ولا من خارجها، والعلماء متفقون على أن أهل المدينة لا يزورون قبره إذا دخلوا المسجد وخرجوا منه، ولكن ابن عمر كان يقف عند القبر، ويسلم عليه، وعلى صاحبيه، إذا قدم من سفر، فأخذ بفعل ابن عمر طائفة من العلماء، وآخرون لم يأخذوا بفعله، بل بفعل جمهور الصحابة.

لم يكن الصحابة يأتون القبر حال إقامتهم بالمدينة

ولا كانوا إذا كانوا مقيمين بالمدينة يزورون القبر ولا يأتونه، لا للدعاء، ولا غيره، بل كانوا يأتون إلى مسجده، وهم في كل صلاة في مسجده، وغير مسجده، يقولون: السّلام عليك أيُّها النبي ورحمة الله وبركاته، ويصلون عليه، ويسألون له الوسيلة إذا سمعوا الأذان، كما سنّه لهم، وهذه المصالح العظيمة يحصل بها أضعاف ما يحصل في زيارة قبره، مع أن

(١) قال النووي عنه: «باطل ليس هو مرويًا عن النبي ﷺ، ولا يعرف في كتاب صحيح ولا ضعيف، بل وضعه بعض الفجرة»، «المجموع شرح المهذب»: (٨/ ٢٢٠).
وقال شيخ الإسلام: «باطل باتفاق العلماء، لم يروه أحد، ولم يحتج به أحد» وقال أيضاً: «فهذا ليس في شيء من الكتب لا بإسناد موضوع ولا غير موضوع». انظر «الرد على الأخنائي»: ص ٢٧ ـ ٢٨.

ذاك كانـوا يخافـون أن يصير ذريعة إلى الشّـرك، واتخاذه مسجـداً، وعيداً، ووثناً، وهذا الخوف كـان لما كان الدخول إليه ممكنـاً، ولما سدوه، ومنعوا الناس من الدخـول إليه؛ ما بقي يمكن أحداً الزيـارة المعروفة، ولا الشرك، ولا اتخاذه وثناً، ولا يقدر أحد أن يصلي إلا إلى مسجده، ومسجده ليس هو قبره وبيته، بل مسجده بني للصلوات الخمس، وغيرها.

وكـان يعتكف فيـه، ولا يعتكف في بيتـه، فحكـم هذا غيـر حكم هـذا بالنـص والإجماع، ولهـذا إنما كـان ابن عمر يـأتي القبر فيسلّـم على النبيّ

كانت الحجرة خارجة عن المسجد

ﷺ، وعلى صاحبيه، إذا قدم من سفر، وكـانت الحجرة إذ ذاك خارجة عن المسجد، مـلاصقة له، وإنمـا أدخلت في المسجد في خـلافة الوليـد بن عبـدالملك، وأدخلت بعـد انقراض الصّحـابة مـن المدينـة، فإن آخـر من مات بها جـابر بن عبد الله، وجابـر مات سنة بضع وسبعين في خـلافة عبد الملك، وابنه الوليد إنما تولى سنة بضع وثمانين، والمسجد أخر بناءه بعد ذلك بمدة، وعبـد الله بن عمر مات في خـلافة أبيه عبد الملك سنـة ثلاث وسبعين عقب فتنة ابن الزبير بمكة.

كيفية وضع قبر النبي ﷺ وقبر صاحبيه

وكان ابن عمر إنما يسلّم عليهم مـن جهة الرؤوس، من جهة المغرب، إذْ كانـت جهة القبلة متصلـة بغيرها مـن الحجر، وكان يسلّـم عليهم على الترتيب، كان رسول الله ﷺ هو المقدم إلى نـاحية/ القبلة، وأبو بكر خلفه، وعمر خلف أبي بكر، ورأس أبي بكر عند منكبي رسول الله ﷺ، ورأس عمر عنـد منكبي أبـي بكر، كـالـدرج، هـذا أشهر الأقـوال. وقيـل: إن رؤوسهم مستوية، وقيل: بل اثنان منهما متحاذيان فقط.

/ ٣٢

ولا يعـرف من أين كـان ابن عمـر يسلم، هل كـان يستقبل الحجـرة أو

القبلة؟ والفقهاء متنازعون:

كيفية الوقوف للسلام على النبي ﷺ

فمنهم من يقول: يستقبل القبلة عند السّلام، ويكون عن يسار الحجرة، أو أمامها كما ينقل عن أبي حنيفة.

ومنهم من يقول: بل يستقبل الحجرة، وهؤلاء يقول كثير منهم: إنه يستدبر القبلة، ويستقبل الحجرة، فيأتيهم من جهة وجوههم، ويسلّم على النبي ﷺ ثم ينحرف قليلاً إلى جهة الشرق، فيسلم على أبي بكر، ثم ينحرف قليلاً فيسلم على عمر، وهذا إنما يجيء على قول من جعل ترتيبهم كدرج المنبر، وهؤلاء استحبوا هذا؛ لأن قصد التحية من جهة الوجه أحسن، وإذا سلّم عليهم من جهة الرؤوس، كما فعل ابن عمر، كان حسناً، ويحصل الترتيب على قول من يقول باستواء الرؤوس.

ولما لم يكن معهم سنة عنه في التحية من خارج بيته، اضطربوا في الوقوف، وأما تحيته من داخل، فإنما كانت ممكنة من جهة القفا، فإن النبي ﷺ قبره متصل بالجدار القبلي، فلم يمكن أحداً أن يقف هناك إذا دخل ويسلم عليه، وهذا مما قد يحتج به من يستقبل القبلة فيقول كما لو كان داخل الحجرة، لكن هذه حجة ضعيفة فإن مقتضى هذا أن يسلم عليه خلف الحجرة، وهذا لم يعلم به قائلاً.

وكان الصّحابة دائماً يقصدون المدينة على عهد الخلفاء الراشدين، من الشام، والعراق، ومصر، واليمن، وغيرها، كما تقدم، ولم يشتهر عنهم أنهم كانواإذا أتوا المسجد فصلّوا فيه، وسلموا على النبي ﷺ في الصّلاة، يذهبون بعد ذلك إلى قبره، وإنما روي هذا عن ابن عمر، أوعن غيره في قضايا معينة، ولو كان هذا عملاً معروفاً لعامة الصحابة القادمين، كالصلاة

في مسجده؛ لكان هذا ينقل عنهم نقلاً شائعاً متواتراً، لكثرة ما كانوا يقدمون المدينة من الأمصار، أضعاف أضعاف ما يقصدها الناس في هذه الأوقات؛ لأنها كانت دار الخلافة، فجميع أمور أهل الأمصار متعلقة بها، تقصد من جميع النواحي، في جميع العام، ومع هذا فأصحابه أفضل الخلق، وأعلمهم بدينه وما أمرهم به من توحيد الله وحقه، كانوا يفعلون ما أمرهم به وسنّه لهم من الصّلاة في مسجده،/ ومن الصّلاة والسّلام عليه، وطلب الوسيلة له كما أمر.

الصحابة يفعلون ما أمرهم به مـن الصـلاة والسلام عليه دون ما نهاهم عنه من اتخاذ قبره عيداً

/٣٣

ولم يكن كل من قدم المدينة ذهب إلى القبر، فلم يكن هذا من عملهم الشائع العام، ولاكانوا يأمرون الناس بذلك؛ لعلمهم أن هذا ليس مما حضهم عليه، ورغبهم فيه، بل نهاهم أن يتخذوا قبره عيداً، ومسجداً، ولعن من يفعل ذلك، فكانوا يفعلون ما أمرهم به دون ما نهاهم عنه، وما نهاهم عنه من اتخاذ قبره عيداً ومسجداً لم يبق ممكناً البتة، بل لا يقدر أحد على ذلك، ومن استقبل الحجرة إذا سلم عليه لم يقل: إنه اتخذ قبره عيداً ولا مسجداً، فإنه لم يصل إلى قبره البتة، بل إنما فعل ذلك في المسجد.

لكن يقال: هذا الفعل مشروع أم لا؟ وهل هو مما يسنّ في المسجد أم هو من أحكام المسجد، ليس من أحكام القبر؟ ولكن كثير من الناس ما بقي يعرف زيارة القبر، إلا ما يكون في المسجد، وهو اسم لا يطابق مسماه، بخلاف أهل البدع الذين يقصدون ما نهى عنه، وقد يجعلون ما نهى عنه أفضل مما أمر به، كما فعلته النصارى وأشباههم.

ولكن أهل البدع لا يتمكنون من فعل بدعة عند قبره، ولا من الوصول

إلى قبـره، ولا يقدر أحـد أن يتخـذه عيداً ولا مسجـداً، ولا وثناً، ولله الحمـد والمنّة؛ فهذا ما فعـل بقبره قط، بل كان الصّحابة يمتنعـون منه مع قدرتهم عليه، ومـن بعد الصحابـة منعوا منـه، فلو طلبوا فعلـه لما قـدروا عليه؛ لأن الصحابة أعلم بدينه، وأتبع له.

وأما غير النبي ﷺ من سائر المؤمنين إذا زير قبره، فإنه يزار قبره فيوصل إليه، فيسلّم عليه، ويدعى له هناك، ومثل هذا لا يشرع في مغيبه، فلم يشرع أن يقـال في الصّلاة: والسّـلام على فـلان وفـلان، وإنما قيل علـى سبيل العموم: السّـلام علينا، وعلى عباد الله الصـالحين، فتبين أنه يحصـل لغيره في زيارة قبـره من المنفعة ما لا يحصـل بدون ذلك، بخلاف الـرسول ﷺ، فإن الذي يحصل له مع عدم الزيارة أكمل، وأفضل، وأنفع.

□ □ □

«فصـــــل»

فهذا فرق من جهة انتفاء المصلحة.

وفرق آخر من جهة حصول المفسدة، وهو: أن لفظ الزيارة للقبور قد صار في عرف النّاس متناولاً للزيارة الشرعية المأمور بها، والبدعية المنهي عنها، بل كثير منهم إذا أطلق زيارة قبور الأنبياء والصالحين، إنما يفهم منها: الزيارة البدعية، المنهي عنها، كاتخاذ قبورهم مساجد، وأعياداً، واتخاذ قبورهم أوثاناً، ومشابهة أهل الكتاب فيما لعنهم عليه النبي ﷺ، وفعل ما نهى عنه الرسول بقوله: «إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد،/ ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك» رواه مسلم في صحيحه، وغيره.

ـار لفظ الزيارة ـي عرف الناس ـتناولاً للشرعية ـلبدعية

/ ٣٤

ويقصدون الحج إلى قبورهم، واتخاذ ذلك نسكاً، والدُّعاء، والصلاة لهم، فمنهم من يسجد للقبر، ومنهم من يطلب منه كما يطلب من الله، فيقول: اغفر لي وارحمني، وعامتهم يصلُّون عنده، ويطلبون منه الدعاء لهم، أو يدعون به، أو يشتكون إليه، ويطلبون منه قضاء الحاجة في الجملة، فيقول هذا: أشكو إليك ذنوباً أنت تعلمها، كأنه يخاطب ربّ العالمين، ويقول هذا: أشكو إليك دَيْني وعيالي، وهذا يقول: أشكو إليك الجدب، والقحط، ويقول هذا: أشكو إليك ظهور العدو، فيخاطبونه كما يخاطب ربّ العالمين، ويشتكون إليه ما لا يشتكى إلا إلى الله، كما قال يعقوب: ﴿إنما أشكُو بَثّي وَحُزْني إلى الله﴾ [يوسف: ٨٦] وكان عمر بن

ـمشركون يشكون ـى أهل القبور ـحوالهم

الخطاب يقرؤها في الصلاة فيسمع نشيجه من آخر الصفوف[1].

وقال موسى: اللهم لك الحمد، وإليك المشتكى، وأنت المستعان، وبك المستغاث[2].

وفي دعاء النبي ﷺ يوم الطائف: «اللهم إليك أشكو ضعف قوّتي، وقلّة حيلتي، وهواني على الناس، أنت ربّ المستضعفين، وأنت ربي»[3].

فالأنبياء، وأتباع الأنبياء، إنما كانوا يشتكون إلى الله، وله يدعون، ويتضرعون، وإليه يرغبون، وبهذا أمر الله رسوله، قال تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ وَإِلَى رَبِّكَ فَارغَبْ﴾ [الشرح: ٧ ـ ٨]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ الله وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا الله سَيُؤتِينَا الله مِن فَضْلِهِ ورسُولُهُ إنّا إلى الله رَاغِبونَ﴾ [التوبة: ٥٩] وقال تعالى عند خوفهم من العدو: ﴿إذْ تستغيثونَ رَبّكُمْ فَاستجَابَ لكُم﴾ [الأنفال: ٩] وقال فيما يصيبهم من الضر: ﴿وَمَا بِكُمْ من نعمةٍ فمنَ الله ثمّ إذَا مَسكُم الضر فإليه تَجأرُونَ﴾ [النحل: ٥٣] وقال: ﴿وإن يمسسكَ الله بضرّ فَلا كَاشفَ لهُ إلا هوَ وإن يُردكَ بخيرٍ فَلا رادّ لفضلِهِ﴾ [يونس: ١٠٧] وقال: ﴿قُل أفرأيتمْ ما تَدْعُونَ من دُونِ الله إن أرادني الله بضُرٍّ هلْ هنّ كَاشفاتُ ضُره أو أرادني برحمةٍ هلْ

---

(١) رواه عبدالرزاق في مصنفه في كتاب الصلاة باب القراءة في صلاة الصبح ٢/ ١١٤ وابن أبي شيبة في مصنفه كتاب الصلاة، باب ما يقرأ في صلاة الفجر ١/ ٣٥٥.

(٢) رواه الطبراني في الصغير ١/ ١٢٢ عن عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أعلمكم الكلمات التي تكلم بها موسى ﷺ حين جاوز البحر ببني إسرائيل؟ فقلنا: بلى يا رسول الله، قال: قولوا: اللهم لك الحمد وإليك المشتكى وأنت المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم» قال عبدالله: فما تركتهن منذ سمعتهن من رسول الله ﷺ. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ١٨٦ وقال: «رواه الطبراني في الأوسط والصغير وفيه من لم أعرفهم».

(٣) رواه بنحوه الطبراني كما ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد»: (٦/ ٣٥)، وقال: «وفيه ابن إسحاق وهو مدلس ثقة، وبقية رجاله ثقات». وأورده الألباني في «ضعيف الجامع»: (١/ ٣٥٨ ـ ٣٥٩).

هنّ ممسكاتُ رحمتِهِ قُلْ حَسبيَ الله عليهِ يَتَوَكلِ المتوَكّلُونَ﴾[1] [الزمر: ٣٨].

وقد بين الله كفـر النصارى وغيرهـم، حيـث شبهوا الخالق بـالمخلوق، ودعوا المخلوق كما يدعون الخالق، وبين أن من دعا المخلوق ـ وإن كان نبياً، أو ملكاً ـ فإنـه دعا ما لا ينفع، ولا يضر، فقال تعالى: ﴿لقـدْ كفرَ الذينَ قالـواْ إنّ الله هوَ المسيحُ ابنُ مريم وقـالَ المسيحُ يَابني إسـرائيلَ اعبدُوا الله ربّي وربكُـم إنه من يشـرك بالله فقـدْ حـرمَ الله عليهِ الجنـةَ ومأواهُ النارُ ومَـا للظالمينَ منْ أنصارٍ. لقدْ كفرَ الذينَ قـالواْ إن الله ثالثُ ثلاثة وما من إلهٍ إلا إلهٌ واحدٌ وإن لمْ ينتهواْ عما يقولـونَ ليمسنّ الذين كفرواْ منهمْ عذابٌ أليم.
أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونـه والله غفور رحيمٌ. ما المسيحُ ابن مريمَ إلا / ٣٥
رسولٌ قد خلت من قبله الرسلُ وأمهُ صـديقةٌ كانَا يأكلان الطعامَ انظر كيفَ نبينُ لهمُ الآيات ثم انظر أنى يُـؤفكون. قُل أتعبدون من دون الله مَا لا يملكُ لكم ضراً ولا نفعاً والله هو السميعُ العليمُ﴾ [المائدة: ٧٢ ـ ٧٦].

فبين أن المسيح عليه السلام لا يملك ضراً ولا نفعاً، إلا ما شاء الله.

وقـد قال الله لمحمـد: ﴿قُل لا أملكُ لنفسـي نفعاً ولا ضـراً إلا ما شـاء الله. ولـوْ كنـتُ أعلمُ الغيـبَ لاستكثـرتُ مـن الخيـر ومَـا مسنـي السـوء﴾ [الأعراف: ١٨٨]، وقـال تعالى: ﴿قُـل إني لا أملكُ لكم ضـراً ولا رشداً﴾ [الجن: ٢١]، وقال: ﴿قُـل لا أقولُ لكمْ عندي خـزائنُ الله ولا أعلمُ الغيب ولا أقول لكمْ إني ملكٌ﴾ [الأنعام: ٥٠].

وفي الصحيـح عنه ﷺ أنـه قـال: «لا تطـروني كمـا أطرت النصـارى المسيح ابن مريم فإنما أنا عبد، فقولوا : عبد الله ورسوله»[2].

---

(١) في الأصل: «أرأيتم» وهو خطأ.

(٢) رواه البخاري بلفظ: «فإنما أنا عبده» في كتاب الأنبياء، باب (واذكر في الكتاب مريم): (٤/ ١٤٢).

ومن النّـاس من غلا فيه، وعصـى أمره، فكفر بمـا جاء به، وبَـرِئَ منه وهو يحسب أنـه يتبعه، كما ظنت النصارى أنهم يتبعـون المسيح بغلوّهم فيـه، وقد كفـروا بـه، وبرئوا منـه. فمن النـاس من اعتقـد في الـرسول مـا اعتقـدته النصـارى في عيسى، حتى صرحـوا بأنه الله، وأنـه يعلم كل مـا يعلمه الله، ويقدر علـى كل ما يقدر الله عليه، وهـذا قاله لي غيـر واحد من هؤلاء، وحكوه عن شيوخ لهم كبار، وهم يرون هذا من علوم الأسرار التي لا يُطْلِعُون عليها إلا الخواص، وهم يعتقدون هذا في شيوخهم أيضاً، وهؤلاء غير الغالين من الشيعـة الذين يعتقدون الإلهية فيه، وفي علـي، وطائفة من أهـل بيتـه، ومنهـم مـن يعتقـد الإلهيــة في بنـي عبيــد الله القـداح[1]، كالحـاكم[2]، وأمثـاله. وغيـر طـائفة من الشيـوخ يعتقـدون في العـارفين الكمّل اتحاد الحقّ بهـم، وأنه هو الذي يتكلم على ألسنتهـم وأن الموحِّدَ هو الموحَّدُ، وينشدون:

مـا وحـد الـواحـد من واحـد	إذ كـل مـن وحـده جـاحـد
تـوحيـد مـن يخبـر عـن نعتـه	عــاريــة أبطلهـا الــواحــد
تــوحيــده إيــاه تــوحيــده	ونعـت مـن ينعتـه لاحـد[3]

---

(١) هو ابن ميمون القداح، قال البخاري: ذاهب الحديث، وقال أبوزرعة: واهي الحديث، وقال النسائي: ضعيف، وقال الترمذي: منكر الحديث وكان باطنياً إباحياً خبيثاً. انظر ترجمته في «التاريخ الكبير»: (٥/ ٢٠٦)، «الجرح والتعديل»: (٥/ ١٧٢)، «تهذيب التهذيب»: (٦/ ٤٩). الإسماعيلية لإحسان إلهي ظهير ص٨٥، ١٧٥.

(٢) الحاكم بأمر الله منصور بن نزار بن معد بن إسماعيل بن محمد، سادس الخلفاء العبيديين الإسماعيلية، ادعى الإلهية، وتولى الخلافة سنة ٣٨٦هـ وانتهى حكمه سنة ٤١١هـ بعد اختفائه. انظر ترجمته في «وفيات الأعيان»: (٤/ ٣٧٩ـ٣٨٣)، «الأعلام» للزركلي: (٨/ ٢٤٦ـ٢٤٧).

(٣) هذه الأبيات لشيخ الإسلام الهروي وقد تكلم عليها ابن القيم في «مدارج السالكين»: (٣/ ٥١٣ وما بعدها).

وقد بُسط الكلام على هؤلاء في غير هذا الموضع.

وقوع ما أخبر به النبي ﷺ من سلوك أمته سنن أهل الكتاب

والمقصود هنا أنه قد وقع ما أخبر به ﷺ في الحديث المتفق على صحته عن أبي هريرة عن النبي ﷺ حيث قال: «لتسلكن سَنَنَ من كان قبلكم حذو القُذة بالقُذة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه» قالوا: يارسول الله: اليهود والنصارى؟ قال: «فمن»[1].

وهو ﷺ قد بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، وبين الحق من الباطل، والهدى من الضلال، والرشد من الغي، وحذر أمته هذه الأمور، ونهاهم عنها وعما يدعو إليها، وما على الرسول إلا البلاغ المبين، قال تعالى: ﴿فَإن تولواْ فَإنمَا عليهِ مَا حُمِّلَ وعليكم ما حملتم وإن تُطيعوه تهتدُواْ وَمَا علَى الرسولِ إلا البلاغُ المبينُ﴾[2][3] [النور: ٥٤].

---

(١) رواه بنحوه البخاري ولفظه: «لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر» في كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل: (٤/ ١٤٤)، ومسلم في كتاب العلم: (٤/ ٢٠٥٤)، وأحمد: (٤/ ١٢٥).

(٢) في الأصل: «توليتم» وهو خطأ.

(٣) في حاشية الصفحة كتب: «بلغ مقابلة».

فهذان فرقان من جهة حصول المصلحة، وانتفاء المفسدة.

وفرق ثالث: أن زيارة غيره ممكنة؛ لبروز قبره، وإمكان مشاهدته، والوصول إليه، وهو ﷺ لا يقدر أحد أن يصل إلى قبره، لا لما يشرع عند قبر غيره ولا لما ينهى عنه، بل منعوا من الجميع، كما دفنوه في حجرته دون غيره؛ سدًّا للذريعة، فهو ﷺ نهى عن اتخاذ بيته[1] عيداً، ومسجداً، وروي أنه إنما دفن في الحجرة بسنته، وأن أبا بكر روى لهم عنه أن الله لم يقبض نبيًّا إلا حيث يدفن، فرفعوا فراشه، ودفنوه تحتها بأمره[2]، باتفاق أصحابه، بأمره على جعل قبره محجوباً غير بارز، بخلاف غيره من المؤمنين.

لا يقدر أحد أن يصل إلى قبره

ومن الفرق بينه وبين غيره: أنه ﷺ قد ثبت عنه في الصحيحين من حديث أبي هريرة، وأبي سعيد، أنه قال: «لا تشدّ الرّحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدي هذا» ورواه أهل السنن، والمسند، من غير هذه الطرق أيضاً مثل حديث بصرة بن أبي بصرة[3] الذي رواه مالك، وأبوداود، وأحمد، وغيرهم، ولفظه: «لا تعمل

(١) هكذا في الأصل ولعلها «قبره».

(٢) الحديث رواه ابن ماجه في كتاب الجنائز، باب ذكر وفاته ودفنه ﷺ: (١/ ٥٢١) ولفظه: «ما قبض نبي إلا دفن حيث يقبض». ورواه أحمد: (١/ ٧) ولفظه: «لن يقبر نبي إلا حيث يموت» فأخروا فراشه وحفروا له تحت فراشه. وقال أحمد شاكر في تحقيق المسند: «إسناده ضعيف لانقطاعه»: (١/ ١٦٧ ـ ١٦٨).

(٣) بصرة بن أبي بصرة: صحابي نزل مصر، وأخرج مالك وأصحاب السنن حديثه وإسناده صحيح. انظر ترجمته في «الاستيعاب»: (١/ ١٧١ ـ ١٧٣)، «الإصابة» (١/ ١٦٢).

المطي إلا إلى ثلاثة مساجد»[1].

السفر إلى غير المساجد الثلاثة غير مشروع

فكان في بيان هذا بيان أن السفر إلى غير المساجد الثلاثة غير مشروع، كما اتفق على ذلك السلف والأئمة، فإن قوله: «لا تشدّ الرّحال إلا إلى ثلاثة مساجد» استثناء مفرغ، فإما أن يكون التقدير: لا تشد إلى مسجد إلا إلى هذه الثلاثة، وإما أن يكون التقدير: لا تشد إلى مكان مطلقاً من الأمكنة التي تقصد، وتعظم، ويسافر لأجلها.

فأما السفر لتجارة، أوجهاد أو طلب علم، أو زيارة أخ في الله، أو صلة رحم، أو نحو ذلك، فإنها لم تدخل في الحديث؛ لأن تلك لا يقصد فيها مكان معين، بل المقصود ذلك المطلوب حيث كان صاحبه، ولهذا لم يفهم أحد من هذا هذه الأمور.

بخلاف السفر إلى البقاع المعظَّمة كطور موسى، وكقبور الأنبياء، والصالحين، فإن الصحابة، والتابعين، والأئمة، فهموا دخولها في هذا الحديث، ولم يكن في السلف من ينكر دخولها في الحديث، ودخولها على أحد وجهين: إن قيل: إن المستثنى منه: جنس البقاع المعظمة، فقد دخلت هذه، وإن قيل: إن المستثنى منه: هو المساجد، فلا ريب أنه إذا لم يشرع السفر إلى المساجد، فلا يشرع إلى هذه بطريق الأولى؛ فإن المساجد أفضل البقاع، كما ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قال: «أحب البقاع إلى الله المساجد، وأبغض البقاع إلى الله الأسواق»[2] رواه مسلم.

والمساجد يؤمر بقصدها، ويسافر إلى بعضها، ويجب السفر إلى

---

(١) رواه مالك في كتاب الجمعة، باب ما جاء في الساعة التي في يوم الجمعة: ص ٨٨، والنسائي في كتاب الجمعة، باب ذكر الساعة التي يستجاب فيها الدعاء يوم الجمعة: (٣/ ١١٤)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع»: (٢/ ١٢٣٠).

(٢) رواه مسلم بنحوه في كتاب المساجد: (١/ ٤٦٤).

بعضها، فإذا كانت لا يشرع السفر منها إلى غير الثلاثة، فغير المساجد أولى أن لا
يشرع السفر إليها، ولهذا/ لم يقل أحد من علماء المسلمين إنه يسافر إلى زيارة / ٣٧
القبور، ولا يسافر إلى المساجد، وإنما حكي عن بعضهم العكس، فحكي عن الليث بن سعد[١] أنه قال: إذا نذر السفر إلى سائر المساجد، وفى بنذره. وعن محمد بن مسلمة[٢] من أصحاب مالك أنه قال ذلك في مسجد قباء.

ولم يقل أحد من أئمة المسلمين إنه من نذر السفر إلى قبر نبي أو غير نبي وفى بنذره، بل نصُّوا على أنه لا يوفي بنذره، ليس بين الأئمة الأربعة وغيرهم من نظرائهم خلاف في ذلك، بل كلهم متفقون على أنه من نذر السفر إلى قبر نبي - أيّ نبيٍّ كان - أو قبر صالح، أنه لا يوفي بنذره.

ومالك رحمه الله إذا كان قد نص على ذلك في قبر النبي ﷺ فسائر الأئمة يوافقونه وهم أولى بذلك منه، فإن مذهب مالك وأحمد: أنه من نذر السفر إلى مسجد النبي ﷺ، أو المسجد الأقصى؛ وجب عليه الوفاء بنذره، وهو أحد قولي الشافعي، والقول الآخر له وهو مذهب أبي حنيفة: أنه لا يجب الوفاء إلا إذا نذر المشي إلى الكعبة، فيذهب في حج أو عمرة.

فهؤلاء إذا لم يوجبوا السفر إلى مسجد المدينة، والمسجد الأقصى، مع أنهما سفران مشروعان مستحبان بنص رسول الله ﷺ واتفاق الأئمة، فأن لا يوجبونه إذا نذر السفر لزيارة القبر بطريق الأولى، فإن أصل أبي حنيفة أنه لا يجب بالنذر إلا ما كان من جنسه واجباً بالشرع، والسفر إلى مسجد المدينة، والأقصى، ليس من جنسه ما هو واجب بالشرع.

---

(١) الليث بن سعد بن عبدالرحمن الفهمي أبو الحارث المصري ثقة ثبت فقيه إمام مشهور، توفي سنة ١٧٥هـ انظر تقريب التهذيب، ترجمة رقم ٥٧٢٠ ص٨١٧.

(٢) محمد بن مسلمة بن محمد بن هشام، أحد فقهاء المدينة، من أصحاب مالك، وكان أفقههم، وهو ثقة، ورع، توفي سنة ٢١٦هـ. انظر ترجمته في «ترتيب المدارك»: (٣/ ١٣١ - ١٣٢).

لكن مالك، وأحمد، ومن وافقهما كالشافعي في أحد قوليه، لما كانوا يوجبون الوفاء بنذر كل طاعة، سواء كان من جنسها ما هو واجب بالشرع، أو لم يكن، فمن نذر السفر إلى مسجد الرسول مقصوده الصلاة فيه، فعليه أن يوفي بنذره، ومن نذر السفر إلى المدينة، فهذا مجمل، قد يكون مقصوده الصلاة في مسجده، وقد يكون مقصوده زيارة أهل البقيع، أو شهداء أحد، أو زيارة مسجد قباء، أو بعض المزارات، أو مجرد زيارة قبر النبي ﷺ، فلهذا صرح هؤلاء بأنه لا يوفي بنذره، إلا إذا كان مقصوده الصلاة في مسجده، فمن قصد غير ذلك، من زيارة قبره، أو غير زيارة قبره، لم يوف بنذره. قالوا: لأن النبي ﷺ قال: «لا تعمل المطي إلا إلى ثلاثة مساجد» وقال: «لا تشدّ الرّحال إلا إلى ثلاثة مساجد» وإعمال المطي إلى غير المساجد أولى بالنهي.

من نذر السفر لزيارة قبره ﷺ لم يوف بنذره

فإذا كان مقصوده بإعمال المطي: زيارة[1] قبره، أو قبور أهل البقيع،
٣٨ / أو شهداء أحد، أو مسجد قباء، فهو منهي عن هذا السفر،/ وما كان منهياً عنه لم يكن قربة، فلا يجب بالنذر باتفاق المسلمين، لكن إذا نذر لله معصية: فهل عليه كفارة يمين؟ فيه قولان للعلماء مشهوران، وظاهر مذهب أحمد: أن عليه كفارة يمين، وكذلك مذهب أبي حنيفة، وطائفة من أصحاب الشافعي إذا قصد بالنذر اليمين، وظاهر مذهب الشافعي أنه لا شيء عليه، وهو مذهب مالك.

وقوله ﷺ: «لا تشدّ الرّحال إلا إلى ثلاثة مساجد» أو «لا تعمل المطي» هو نهي عن ذلك عند السلف، والعلماء المتقدمين، ما علمت بينهم نزاعاً أن هذا نهي عن السفر، وهو قول مالك، وأصحابه، والمتقدمين[2] من أصحاب الشافعي، وأحمد، والصيغة نص في ذلك،

---

(١) في الأصل: «لزيارة».   (٢) في الأصل: «المتقدمون».

كما في قوله: ﴿لا تُضارّ والدَة بوَلَدِهَا﴾ [البقرة: ٢٣٣]. وقوله: ﴿فمنْ فرضَ فيهنّ الحجّ فَلا رَفث ولاَ فُسوقَ ولا جدالَ في الحج﴾ [البقرة: ١٩٧]، وقوله: ﴿وإن تبتم فلكم رؤوسُ أموالكمْ لا تظلمون ولا تُظلمونَ﴾[1] [البقرة: ٢٧٩]، ونظائره كثيرة، كقوله: «لا يبع حاضر لباد»[2].

ثم من الناس من يقول: أصل هذه الصيغة الخبر، لكن لما تعذر ذلك فيها؛ حُملت على النهي. ومنهم من يقول: بل النهي له صيغ متعددة، منها: صيغة: لا تفعل، بالجزم، لكن هذه يسميها النحاة: صيغة النهي، وأما: لا تفعل، بالرفع، فهذه لا تختص بالنهي، بل قد يراد بها النهي، وقد يراد بها غير النهي، وكذلك القولان في مثل قوله: ﴿والوالداتُ يُرضعنَ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

لكن الناس متفقون على أن مثل هذه الصيغة إذا لم تكن خبراً كانت أمراً ونهياً، وقال طائفة من متأخري أصحاب الشافعي، وأحمد: إن هذا ليس بنهي، بل هو نفي؛ لكونه مشروعاً، قالوا: وهذا يوجب أن يكون مباحاً، لا مستحباً، ولا مكروهاً، ولا محرماً، ولهذا بنى هؤلاء على هذا: أنه إذا سافر إلى غير الثلاثة قصر الصلاة؛ لأنه مباح.

وهكذا قال طائفة من أصحاب مالك، كابن عبد البرّ، وابن بطال، قالوا: الحديث محمول على أنه لا يجب بالنذر إلا هذه الثلاثة، فلو نذر شيئاً لم يجب، وهذه الثلاثة تجب بالنذر، وإن كان المسجدان مستحبين، فاقتضى الحديث عندهم: أن المستحب يجب بالنذر، وغير

---

(١) في الأصل: «فإن».

(٢) رواه البخاري في كتاب البيوع، باب لا يبيع حاضر لباد: (٣/ ٢٨)، ومسلم واللفظ له في كتاب البيوع: (٣/ ١١٥٧).

الثلاثة: لا تجب بالنذر، فلا يكون مستحباً، هذا معنى الحديث عندهم.

وأما أولئك الذين يقولون إنه منهي عنه، فمن قال: إن السفر المنهي عنه لا تقصر الصلاة فيه، فإنه لا تقصر الصلاة في مثل هذا، كما صرح بذلك من صرح به منهم، مثل ابن عقيل، وغيره، وكل من يوافقه على الأصلين يوافقه على ذلك، فأصحاب مالك، والشافعي، الذين يوافقونه على أن هذا محرم، وعلى أن المحرم لا تقصر فيه الصلاة، يوافقونه على أنه لا تقصر فيه الصلاة.

والصحيح قول السلف والجمهور، وأن هذا نهي منه ﷺ وذلك أن الصيغة صيغة خبر، وقد علم أنه لم يرد/ صيغة الخبر، فتعين أن يحمل /٣٩ على النهي، هذا إذا روي بصيغة الخبر[1]، «لا تشدُّ» بالضم، وأما إذا روى بصيغة النهي: «لا تشدّ الرّحال»، و«لا تعمل المطي» لم يبق فيه شبهة، وهذا كقوله: ﴿لا تُضار والِدَة بِولَدِهَا﴾ [البقرة: ٢٣٣] على قراءة من قرأ بالرفع عطفاً على قوله: ﴿لا تُكلفُ نفسٌ إلا وُسعها﴾ [البقرة: ٢٣٣] فإن هذه صيغة خبر، ومعناه النهي، كقراءة من قرأ: (لا تضارَّ) بفتح الراء، فإن هذا نهي، لكنه فتح الراء لالتقاء الساكنين، كما في قوله: ﴿وَلا يُضارّ كَاتبٌ ولا شهيد﴾ [البقرة: ٢٨٢] وفي قوله: ﴿مَن يرتدّ منكُمْ عن دينهِ﴾ [المائدة: ٥٤]. وفي الآية الأخرى: ﴿ومَنْ يَرتَدِدْ مِنكُمْ عَنْ دِيْنِهِ﴾ [البقرة: ٢١٧] وكذلك قوله: ﴿فَمَنْ فرضَ فيهنّ الحج فَلا رفثَ ولا فُسوقَ ولا جدالَ في الحج﴾ [البقرة: ١٩٧] أي: لا يجادلون في الحج، وقول من قال: لم ينه عن ذلك، وإنما نفى استحبابه؛ غلط من وجوه:

الرد على من قال إنه لم ينه عن السفر وإنما نفى استحبابه

منها: أن يقال: معلوم أن من سافر إلى مسجد غير الثلاثة، أو بقعة معظمة، فإنما يفعل ذلك متقرباً به، ولا يفعله على أنه مباح مستوي

(١) في هامش الأصل تعليق غير واضح ذكر فيه بعض ألفاظ روايات من الحديث السابق.

الطرفين، فإذا كان هذا عند صاحب الشرع ليس بمستحب، كما قد ذكرتم أنه أراده، لزم أن من فعله معتقداً أنه مستحب، يطلب فيه الأجر، مخالف عاصٍ لصاحب الشرع، وهو منهي عن السفر بهذه النية، فقولكم متناقض حيث قلتم: إنه نفى الاستحباب، ولم ينه عنه، مع أن الذين يفعلونه، يفعلونه لأنه مستحب عندهم، وهم ينهون عن هذا، فإن الرسول إذا قال إنه غير مستحب، كان قد نهى أمته أن يظنوا أنه مستحب، أو يعملوه على أنه مستحب، فإذا كانوا لا يفعلونه إلا لأنه مستحب عندهم، وقد نهاهم عن هذا، فقد نهاهم عن فعله.

فإذا قلتم: لم ينههم مع ذلك، جمعتم بين النقيضين، فحقيقة قولكم: إنه نهاهم وهو لم ينههم.

ولهذا كان الذين ينازعون هؤلاء يحتجون عليهم بما سلموه من أنه ليس بمستحب، والذين يفعلونه إنما يفعلونه لأنه مستحب، فيجعلون قولهم: إنه غير منهي عنه، يقتضي أنه مستحب، لكن القول باستحبابه إلزام لهم، ونفي استحبابه نص قولهم، ولازم المذهب ليس بمذهب، لكن إذا كان فاسداً دلّ على فساد المذهب، فلما كان قولهم يستلزم الاستحباب، مع أنهم نفوا الاستحباب، ولابد لهم من ذلك وإلا عطلوا النص؛ كان قولهم متناقضاً.

ومنها: أن صيغة النفي، إذا لم يرد بها النفي، كانت نهياً، هذا هو المعهود في الخطاب، كما أن صيغة الخبر إذا لم يرد بها الخبر كانت أمراً، كقوله: ﴿والمُطلقاتُ يتربصن بأنفسهنّ﴾ [البقرة: ٢٢٨]. ﴿والذين يتوفون منكم ويذرُونَ أزواجاً يتربصن بأنفسهنّ أربعة أشهرٍ وعشراً﴾ [البقرة: ٢٣٤]أما كون صيغة النفي يراد بها الإباحة، ونفي الاستحباب، فهذا غير معلوم في خطاب الشارع، فالحمل عليه حمل لكلامه على غير لغته المعروفة، ولسانه الذي خاطب به الناس./ /٤٠

ومنها: أن هذا القول محدث لم يقله أحد من سلف المسلمين وأئمتهم.

ومنها: أن السفر إلى غير الثلاثة إذا كان مباحاً مستوي الطرفين مع أن أصحابه يتخذونه قربة وطاعة، فإما أن يقال: إنهم يثابون، أو لا يثابون، فإن قيل: إنهم يثابون، فالمباح الذي ليس بمستحب لا ثواب فيه، وأيضاً فتلك مخالفة محضة للحديث، وإن قيل: إنهم لا يثابون مع أنهم لم يسافروا لمصلحة دنيوية، فقد سافروا سفراً لا ينفعهم في دينهم ولا دنياهم، وهم يعتقدون أنهم يثابون، ويؤجرون، ومثل هذا لا يكون إلا منهياً عنه، لا يكون مباحاً مستوي الطرفين.

ومنها: أن السفر إلى البقاع المعظمة هو من جنس الحج، ولهذا يسمونها: حجًّا، ويسمون أعمالها: مناسك، ويسمون الكتب المصنفة في ذلك: مناسك حج المشاهد، ويقول بعض الناس: وحق النبي الذي تحج إليه المطايا.

ولكلِّ أمة بقاع يعظمونها، ويحجون إليها، وكانوا في الجاهلية يحجون إلى بيوت الأصنام، وفي حديث أمية بن أبي الصلت لما اجتمع بالراهب، وأخبره أنه سوف يبعث نبي من العرب، فطمع أن يكون هو إياه، فقال له الراهب: «إنه من أهل بيت تحجّه العرب، قال: فقلت له: ونحن معشر ثقيف فينا بيت تحجه العرب، قال: إنه ليس منكم، إنه من إخوانكم من قريش» فقوله[1]: فينا بيت تحجه العرب. وهو اللات المذكور في القرآن في قوله: ﴿أفرأيتم اللات والعُزى﴾ [النجم: ١٩] وكانوا يسمونها: الربة، وقرأ طائفة من السلف: اللاتّ، بالتشديد[2]، وقال طائفة من السلف: إنه كان يلت السويق للحجاج، فلما مات عكفوا على قبره.

(١) في الأصل: «فقال».

(٢) وهي قراءة ابن عباس رضي الله عنه، ومجاهد وغيرهما. انظر النشر في القراءات العشر ٢/ ٣٧٩.

وأهل الكتـاب يحجّون إلى كنائسهـم، ومنه قيل في قصـة الفيل: إن صاحب الفيـل أبرهة بنى كنيسـة وأراد أن يصرف حجّ العرب إليهـا، فأحدث فيها بعض العرب، فجعل السفر إلى الكنيسة حجاً كالسفر إلى الكعبة.

والمقصود أنهم كـانوا يسمّون السفـر إلى مثل هذا: حجًّـا، إذ الحج في اللغة هو القصد إلى معظَّم، كما قال:

وأشهد من عوف حُلولاً كثيـرة يحجون سِبَّ الزبرقان المزعفرا[1]

ومشركو الهند يحجون إلى السمناة[2]، والنصاري يحجون إلى بيت لحم[3] والقمامـة[4]، وإنمـا يقصدون المكـان الذي ولـد فيـه المسيح، والمكان الذي صلب فيه[5]، فإنما عظموا تلك البقعة لأجل المخلوق.

---

(١) نسب هذا البيت في الصحاح للمُخبَّل السعدي، انظر «الصحاح»: (١/ ٣٠٣).

(٢) صنم كان يعتقـد مشركو الهند أنـه يحيي ويميت ويرزق ويشفي، وكـانوا يحجون إليه، ويتقـربون إليه بـالنفائس، وقد بلغت الـوقوف عليه عشـرة آلاف قرية، وامتـلأت خزائنه بأصنـاف الأموال، وكان هـذا الصنم في قلعة منيعة وبيـت عظيم وعليه قناديل وستـور، وطوله عشرة أذرع ويخـدمه ألف نفس من البراهمـة، وقد توجه إليه محمـود بن سبكتكين بجيش قوامه ثلاثـون ألفاً، وكانت قلعة هذا الصنم بينها وبيـن بلاد الإسلام مفازة مقدارها مسيرة شهر ولمـا وصل الجيش إليها بعد عناء شـديد وحاصروهـا، هرب مقاتلـة الهند إلى الصنم وتضرعـوا إليه، فدخل محمـود بجيشه وأسقط الصنم وحـرقه وما حولـه من قصور القلعة وقُتل بهـا خمسون ألفاً من عبـاد الصنم، وفرق محمود بن سبكتكين في جنـده معظم الأموال التي استولوا عليها وكان ذلـك سنة ٤١٦هـ. انظر وفيات الأعيان ٤/ ٢٦٥ ـ ٢٦٦، السير ١٧/ ٤٨٥، ٤٩١، البداية والنهاية ١٢/ ٢٢ ـ ٢٣.

(٣) قرية، قـرب البيت المقدس، يقال: إنه ولـد فيها عيسى بن مريم عليـه السلام. «معجم البلدان»: (١/ ٥٢١).

(٤) أعظم كنيسة للنصارى بـالبيت المقدس، في وسط البلد، وفيها مقبرة يسمـونها القيامة؛ لاعتقادهم أن المسيح قامت قيامته فيها. وسميت قمـامة؛ لأنها كانت مزبلة أهل البلد «معجم البلدان»: (٤/ ٣٩٦).

(٥) يعني في زعمهم.

وهكذا الذين يسافرون لزيارة المقابر، والمشاهد التي يعظمونها هي عندهم مثل الحج، بل أعظم من الحج، ويسمونها الحج الأكبر، ويرون أن مرة واحدة منها أفضل من حجات إلى مكة، ويدعون عندها، ويتضرعون، ويخشعون، كما يفعله المسلمون في بيوت الله، ومشاعره، أو أعظم من ذلك، أو دون ذلك، كما كان المشركون يعظمون آلهتهم مثلما يعظمون الله، وقد يفضلونها على الله،/ كما قال تعالى: ﴿وَجَعلواْ لله ممّا ذَرَأَ منَ الحرثِ والأنعامِ نصيباً فقالواْ هذا لله بزعمهمْ وهذا لِشركائنا فَمَا كانَ لشُركائهم فلا يصلُ إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم﴾ [الأنعام: ١٣٦] ،وقال تعالى: ﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عَدْوَاً بغير علم﴾ [الأنعام: ١٠٨]. / ٤١

من الناس من يعظم شيخه أكثر من الله

ومثل هؤلاء موجودون في زماننا، يكون شيخ أحدهم في صدره أعظم من الله، بحيث يسب الله ويشتمه إذا فعل بشيخه مكروهاً، كما جرى مثل هذا لطائفة بعد طائفة، ومن سب شيخه حاربه، ومن سب الله سالمه، ويحلف بالله ويكذب، ولا يستجيز[1] أن يكذب إذا حلف بشيخه.

وإذا كان السفر إلى البقاع المعظمة من جنس الحج فالرسول ﷺ نهى أن نسافر سفراً يشبه الحج إلا إلى هذه المساجد، فالمسجد الحرام يكون السفر إليه واجباً تارة، ومستحباً أخرى، والمسجدان الآخران يستحب السفر إليهما، فهذا هو المشروع من هذا الجنس، وما سوى ذلك غير مشروع، وما كان حجاً غير مشروع فلا يكون إلا محرماً، كالحجّ إلى بيت لحم، والقمامة، وسمناة، وغير ذلك.

فإن قيل: هذه أوثان. قيل: والقبور قد اتخذت أوثاناً، وأصل الشرك

---

(١) في الأصل: «ولا يستجز».

هو من تعظيم القبـور، وقد قال ﷺ: «اللهم لا تجعل قبري وثنـاً يعبد» وقد استجاب الله دعـاءه، فلم يُتخذ ـ ولله الحمـد ـ قبره وثنـاً يعبد ، ولا يمكن أن يفعل عنده ما هو دون هذا وذريعة إليـه مما نهى عنه، فلا يستطيع أحد أن يفعل عند قبره منكراً، ولا يزوره الزيـارة المشروعة في غيره، بل قد منعوا من ذلك سدًّا للذريعة، وإنّما يمكن الوصول إلى مسجده.

وقد يظـنّ الظّانُّ أن مـا يفعل في المسجـد هو عنـد قبره، وهـو غلط، المسجد مسجد قبل قبره، وليس شيء مـن المسجد من بيته، ولا من قبره، فلا يستطيع أحد أن يفعل هناك خيراً، أو شرّاً، إلا في مسجده، وأما في بيته فلا يستطيع أحد أن يفعل فيها خيراً، ولا شـرّاً، ولكن يتوهم أكثرهم أن هذا زيارة لقبره، وإنما زار مسجده، لم يـزر قبره، ولا فعل هناك شيئاً[1] يختص بالقبور، بل لم يفعل هناك إلا ما يمكن فعله في غير القبور.

ومن توهـم أن الذي فعله.. فعلـه عند قبره؛ فهـو غالط، وقيل لـه: ما الحدّ الفاصل بين قبـره وغير قبره؟ أترى من فعل في الجـانب الغربي من المسجد شيئاً، فهو أيضاً عند قبـره؟ فإن قال: نعم، كان كل من صلّى في المسجد صلـى عند القبر، وهـو قد نهى عن اتخـاذ القبور مسـاجد، وإن قال: لا، قيـل له: فقبره وسـط المسجد، فإن حـدّ حدّاً بـذراع، أو باع، أو رمح؛ كان متحكمـاً، فعلم أنه ليس أحد ينهى في المسجـد عند قبره، ولا زار أحد منهم قبره، ولا وصل إلى قبره.

ولهذا لم يكن أحد من السلف يطلـق على شيء من ذلك أنه زيارة لقبـره، وقد كـره كثير مـن العلماء أن يقـال: زرنا قبـره، ولا ريب/ أن هـذا /٤٢
باطل، لـم يزر قبره أحـد قط، ولكن الذين أطلقـوا ذلك أرادوا به الـدّخول إلى المسجـد بحيث يكـون قـريبـاً من قبـره، ولم يـذكـروا في ذلك حـدّاً

(١) في الأصل: «شيء».

فاصلاً، كما قد بسط الكلام عليهم في غير هذا الموضع.

حفظ الله قبر نبيه أن يتخذ مسجداً

فالحمد للـه الذي حفظ قبره عن أن يتخذ مسجـداً، أو وثناً، أو عيداً، ولم يمكن أحداً أن يدخـل إلى قبره بالكلية، بل سدّ هـذا الباب، وأما غيره فقـد يتخذ قبـره مسجـداً، ويتخذ وثنـاً، وليس على الأنبيـاء والصـالحين الذيـن فعل ذلك بغيـر رضاهم درك، فـإنهم يكرهـون ذلك، ويتأذون بمـا يفعل عندهم، وهذا كما أن من عبد المسيـح وغيره لا إثم عليه بما فعله به غيره بغير إذنه.

لكن كـان أهـل الكتـاب قبلنـا يتخـذون قبـور الأنبيـاء والصـالحين مسـاجـد، كما أخبـر بـذلك النبـي ﷺ، ونبيّنـا عصمه الله أن يتخـذ قبـره مسجداً، كما عصم أمته أن تجتمع على ضـلالة، فإن الأمم قبلنا كانوا إذا ضلـوا أرسل الله نبياً يبيّـن ضلالهم، ومحمـد[1] ﷺ خاتم الأنبيـاء لا نبي بعده فلو اتخـذ قبره ـ والعياذ بـالله ـ مسجداً، وجعل وثنـاً؛ لكان ذلك من أعظم ظهور الضلال والشرك في أمّته، وهي آخر الأمم، وقد عصمها الله أن تجتمع على ضلالـة، ولهذا يوجد مـن هو دونه من أهل بيتـه، والمشايخ، عند قبره، أو قبـر منسوب إليه، وهو كذب، من اتخاذه وثنـاً ومسجداً، ما لا يوجد عنـد قبر النبي ﷺ عصمة من الله، ورحمة، وعنايـة، بمحمدٍ، وأمته، والمتبعين لسنته.

---

(١) في الأصل: «ومحمداً».

«فصـــــل»

فلمّا كان السفر إلى غير المساجد الثلاثة غير مشروع، وليس عند قبر غيره مسجد يشرع السفـر إليه، كان السفر إلى قبر غيـره، أو إلى مسجد عند قبر غيره، غير مشروع، بل منهيًّا عنـه، ولم يكن في ذلك شبهة. هذا إذا قدر أن ذلك القبـر صحيح، أما قبـور الأنبياء، فقـالت طائفـة، منهم مـالك بن أنس: لا يعـرف قبـر نبي، إلا قبـر نبيّنا خـاصة، وقـال هـؤلاء: لا يعرف قبـر الخليل ولا غيره.

السفر إلى قبره ﷺ أو قبـر غيـره غيـر مشروع

وطائفـة أخرى قـد يعرفـون بعض القبور كقبـر الخليل عليـه السلام، لكن من هؤلاء من يثبت أموراً مكذوبة، مثل قبر نوح الذي بقرية الكرك[1] بجبل لبنان، وغيره من القبور المضافـة إلى الأنبياء، فإنها كذب بلا ريب، وإن كان قبر الخليل صحيحـاً، وكذلك قبور غير الأنبياء كثيـر منها كذب، أو مختلف فيـه، مثل مـا يقال: إن بـدمشق قبـر أم سلمة، أو أم حبيبـة، أو غيرهما من أزواج النبي ﷺ، أو قبر أبي بن كعب، أو أويس القرني.

كذب نسبة بعض القبور

وقد اتفق أهل العلم علي أن أزواج النبـي ﷺ كلهن دُفنّ بالبقيع، إلا ميمونة، ولـم يسافر منهن امرأة إلى غيـر الحج، إلا عائشة لمـا خرجت إلى البصرة، وأم حبيبـة لم تقـدم إلى الشام إلـى أخيها معـاوية، ولكن/ كـان بـالشـام امـرأة من الأنصـار يقـال لهـا أم سلمـة: أسمـاء بنـت يـزيـد بن /٤٣

---

(١) كرك: بسكون الراء، قرية في أصل جبل لبنان. «معجم البلدان»: (٤/ ٤٥٢).

السكن[1]، وكان إذا حدث عنها شهر بن حوشب[2] يقول: حدثتني أم سلمة، فيظنّ الجهال لاشتراك الاسم أنها زوج النبي ﷺ.

وكذلك قبر خالد الذي عند حمص، قالوا إنما هو قبر خالد بن يزيد ابن معاوية[3]، وأما خالد بن الوليد فمات بالحجاز في خلافة عمر بن الخطاب، ولم يكن بحمص، ومثل هذا كثير.

وذلك أن معرفة هذه القبور لم تكن من الدين، فإن أصحابها يترحم عليهم، ويدعى[4] لهم إذا ذُكروا، وإن لم تعرف قبورهم، والذين يقصدون قبورهم، إنما يقصدونها للشرك، واتخاذها مساجد، وأوثاناً، فلا يقصدونها لما أمر الله به ورسوله، بل لما نهي عنه، فلذلك عمّى الله أخبارها، فلا يكاد يصح منها إلا ما شاء الله.

ومن أشهرها قبر علي بن أبي طالب، ولا ريب عند أهل العلم أنه ليس بقبر علي، وإنما دُفن عليٌّ في قصر الإمارة بالكوفة، ودُفن معاوية بقصر الإمارة بدمشق، ومعاوية الذي دُفن بمقبرة باب الصغير هو معاوية

---

(١) أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية، يقال لها: خطيبة النساء، صحابية، شهدت اليرموك، وقتلت يومئذ تسعة من الروم بعمود فسطاطها، وعاشت بعد ذلك دهراً. انظر ترجمتها في «الاستيعاب»: (٤/ ٢٣٧ ـ ٢٣٨)، «الإصابة»: (٤/ ٢٣٤ ـ ٢٣٥).

(٢) شهر بن حوشب مولى أسماء بنت يزيد بن السكن، وقد روى عن مولاته، ووثقه ابن معين وأحمد، مات سنة ١٠٠هـ. «الخلاصة»: ص ١٦٩.

(٣) خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، إمام، ورع، وكان معروفاً بالعلم، توفي سنة ٨٤هـ. انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء»: (٤/ ٣٨٢ ـ ٣٨٣)، «تهذيب التهذيب»: (٣/ ١٢٨ ـ ١٢٩).

(٤) في الأصل: «ويدعوا».

ابن يزيد بن معاوية[1]، ودُفن عمرو بن العاص بقصر الإمارة بمصر، لما تحالف الخوارج على قتل هؤلاء الثلاثة، فقتل ابن ملجم[2] علي[3] بن أبي طالب، وجرح صاحب معاوية معاوية[4]، وبرىء من جرحه، وصاحب عمرو قتل خارجة بن حذافة[5]، وكان قد استخلفه عمرو في الصلاة، وقال: أردت عمرواً وأراد الله خارجة، فدُفن الثلاثة في قصر الإمارة؛ لئلا ينبشهم الخوارج، وبسط هذا له موضع آخر.

والمقصود هنا أن السفر لما كان غير مشروع إلى غير المساجد الثلاثة، كان السفر إلى مشهد، أو مسجد غير الثلاثة ،غير مشروع بلا شبهة، وأما نبيّنا ﷺ فإن السفر مشروع إلى مسجده، والحجرة التي دُفن فيها كانت بجنب مسجده إلى زمن الوليد بن عبد الملك، فلما كان في زمنه أمر بأن تشترى الحجر وكانت شرق المسجد وقبليه، فأمر أن تشترى وتزاد في المسجد، وكان نائبه على المدينة ابن عمه عمر بن عبدالعزيز، فتولى عمارة المسجد، وبنى على الحجرة جداراً وجعله مسنماً محرفاً ؛ لئلا يصلي أحد إلى الحجرة؛ لما ثبت في صحيح مسلم عن النبي ﷺ

---

(١) معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، كان شاباً ديناً، توفي سنة ٦٤هـ وعمره ٢٣ سنة. انظر ترجمته في «البداية والنهاية»: (٨/ ٢٣٧)، «سير أعلام النبلاء»: (٤/ ١٣٩).

(٢) عبدالرحمن بن ملجم الخارجي قاتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقد قتل ابن ملجم الخارجي بعد قتله لعلي سنة أربعين من الهجرة. انظر: البداية والنهاية ٦/ ٢١٩، ٧/ ٣٢٥ ـ ٣٣٠.

(٣) في الأصل: «العلي».

(٤) في الأصل: «المعاوية».

(٥) خارجة بن حذافة بن غانم القرشي، له صحبة، سكن مصر، وكان يعد بألف فارس، قتله أحد الخوارج الثلاثة الذين انتدبوا لقتل علي ومعاوية وعمرو،ظاناً أنه عمرو، وذلك سنة ٤٠هـ. انظر ترجمته في «تهذيب التهذيب»: (٣/ ٧٤)، «الخلاصة»: ص ٩٩.

أنه قال: «لا تجلسوا على القبور، ولا تصلوا إليها».

فلما كان السفر إلى مسجده مشروعاً، مستحباً، وقبره قد صار في مسجده، صار في زيارة قبره من الاشتباه ما ليس في قبر غيره، فلهذا كره مالك وغيره أن يقال: زرت قبره؛ لئلا يظنّ أن السفر إلى هناك لأجل زيارة قبره، ولهذا ظهر الفرق بين السفر إلى مدينته، والسفر إلى غيرها، فالسفر إليها للصلاة في مسجده مستحب، والسلام/ عليه حينئذٍ حسن، يسلِّم عليه في مسجده، ويصلي عليه إمّا مستقبل القبلة، وإمّا مستقبل الحجرة، كما فعل ذلك من فعله من الصحابة. / ٤٤

وليس كذلك قبر غيره، فإنه لا يشرع السفر إلى المدينة التي هو بها بحال، إذ ليس فيها مسجد من المساجد الثلاثة، فالمسافر إلى تلك المدائن لزيارة مسجد، أو قبر، ظالم لنفسه، مخالف للشرع، بخلاف المسافر إلى مدينة النبي ﷺ، فإنه مطيع لربّه، متقرّب إليه، متبع للشريعة، ثم يفصل بين المشروع وغير المشروع، كما أن زيارة القبور التي في البلد مشروعة ثم تنقسم زيارتها إلى مشروعة[1] وغير مشروعة[1]، بخلاف السفر إلى مشهد، أو مسجد غير الثلاثة، فإنه كلّه غير مشروع، ولا يقسم.

قصر الصلاة في السفر إلى القبور

ولهذا تنازع الفقهاء المتأخرون من أصحاب أحمد وغيرهم في قصر الصلاة في السفر إلى القبور، على أربعة أوجه:

قيل: لا تقصر بحال، وقيل: تقصر بكل حال، وقيل: لا تقصر إلا في السفر إلى قبر نبيّنا.

وقيل: يقصر فيه، وفي السفر إلى سائر الأنبياء، وهذا قول قاله بعض الشيوخ الذين أدركناهم، وظن أن النبي ﷺ استثني لكونه نبياً، فعدى ذلك إلى غيره، وليس كذلك، وإنما استثني؛ لأن السفر إلى مدينته سفر

(١) في الأصل: «مشروع».

إلى مسجده، وذلك سفر مشروع تقصر فيه الصلاة، أو جعل ذلك من خصائص النبي ﷺ، كما قيل [في][1] الحلف به، فعن أحمد رواية أنه تنعقد اليمين به، اختارها كثير من أصحابه كالقاضي أبي يعلى وغيره، وعدى ابن عقيل ذلك إلى سائر الأنبياء.

الحلف بالمخلوق

لكن الصواب الذي عليه جمهور العلماء، مالك، وأبو حنيفة، والشافعي، وغيرهم: هو الرواية الأخرى، أنه لا تنعقد اليمين بمخلوق، لا النبي، ولا غير النبي، فقد يكون من استثنى من السفر إلى المقابر: السفر إلى قبر نبيّنا، سلك هذا المسلك.

وكذلك ما ذكره ابن كج[2] من أصحاب الشافعي، فإنه قال: إذا نذر أن يزور قبر النبي ﷺ فعندي أنه يلزمه الوفاء، وجهاً واحداً، ولو نذر أن يزور قبر غيره فوجهان، نقله صاحب الروضة[3]، ولكن الصواب أن الاستثناء إنما هو لأن السفر إلى مسجده مشروع تقصر فيه الصلاة باتفاق المسلمين.

والعلماء المصنّفون في المناسك يذكرون السفر إلى مسجده، والصلاة فيه، ويذكرون مع ذلك زيارة قبر النبي ﷺ، على الوجه المشروع، ومنهم من يقول أشياء باجتهاده، أو لما ظنّه صحيحاً من الأحاديث، والحكايات، وإن كان ذلك لا أصل له، لكن جميع العلماء متفقون على أنه يستحب لمن أتى المدينة أن يصلي في مسجده، ويسلّم عليه، لم يقل أحد من العلماء أنه يستحب السفر لمجرد زيارة قبره،

---

(١) غير موجود في الأصل.

(٢) يوسف بن أحمد بن يوسف بن كج الدينوري، أحد أئمة الشافعية، رحل إليه الناس، وله تصانيف كثيرة، تولى القضاء، ومات سنة ٤٠٥هـ. انظر ترجمته في «طبقات الشافعية»: (٥/ ٣٥٩ ـ ٣٦١)، «وفيات الأعيان»: (٦/ ٦٣).

(٣) «روضة الطالبين» للنووي: (٣/ ٣٢٦).

والرجوع بلا صلاة في مسجده، فهذا لم يقله أحد من العلماء، وعامة
/ ٤٥ الحجاج لابد أن يصلوا في مسجده،/ ثم يسلموا عليه.

فهذا فرق بين هذا السفر إلى بلده وبين السفر إلى سائر المدائن غير مدينته، فهذا مشروع في الجملة بالنص والإجماع، بخلاف السفر إلى مدينة غيره، لكن من كان عالماً بالشريعة إنما يقصد السفر إلى مسجده، وهؤلاء الذين لا يسافرون إلى قبر أحد، ولا يدعون إلا الله، وإذا زاروا القبور زاروها على الوجه المشروع، فيقصدون الدعاء للموتى، كما يقصدون بالصلاة على جنائزهم، فمقصودهم عبادة الخالق والدعاء للمخلوق، وأهل الجهل مقصودهم الشرك بالخالق، وظلم أنفسهم، وظلم المخلوق.

الفرق بين الزيارة الشرعية والبدعية

فالزيارة الشرعية فيها القيام بحق الخالق تعالى، وبحق المزور، وبحق الإنسان نفسه، ففيها توحيد الله، وهو حقه، كما في الصحيحين أن النبي ﷺ قال لمعاذ: «أتدري ما حق الله على عباده»؟ قال: الله ورسوله أعلم. قال: «حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، أتدري ما حقّ العباد على الله إذا فعلوا ذلك»؟ قال: الله ورسوله أعلم. قال: «حقهم عليه أن لا يعذبهم»[1].

وحق المزور: الدعاء له، كالصلاة على جنازته، وذلك سبب لزيادة الرحمة، والإحسان، والرضوان، والزائر يحصل له من الأجر والثواب على عبادة الله والإحسان إلى عباده ما يستحقه لقيامه بحق الله وحق خلقه.

وأما الزيارة البدعية ففيها ظلم الإنسان نفسه، وظلم المزور، والظلم في حق الله، فإن الشرك لظلم عظيم، والمزور لا ينتفع بها بل يتأذى، ويتضرر، فإن سؤاله ما لم يؤمر بطلبه منه، لا سيما مع رفع الأصوات عنده،

---

(١) رواه بنحوه البخاري في كتاب التوحيد، الباب الأول: (٨/ ١٦٤)، ومسلم في كتاب الإيمان: (١/ ٥٨).

والشرك بـه ،مما يؤذيه، وهـذا معروف بالأدلـة الشرعية، وبكشـوفات أهل البصـائر، مما لا يتسع هـذا المـوضع لذكـره، وأمـا الزائر فـإنه ظلم نفسـه بتفريطـه في حق الله، وحق عبـاده، وتعديه حـدود الله، والشرك بالخـالق، وظلم المخلوق.

ثم الـزيارة الشـرعية هـي من الصراط المستقيـم، الذي بعث الله بـه رسولـه، وهو واحد، وأمـا الزيارات البـدعيّة فهي أنواع مختلفـة من جنس سبل الشيطان، قال عبدالله بن مسعـود: خط لنا رسول الله ﷺ خطّاً، وخطّ خطوطـاً عن يمينه وشمـاله فقال: «هـذا سبيل الله، وهذه سبـل، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه» ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هذا صِرَاطي مُستقيماً فاتبعوهُ وَلاتَتَّبِعُواْ السُّبلَ فتفرق بكمْ عن سبيلهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣][1].

ولهذا كـان المتبعون لشـرعته وسنتـه ـ وهـو سبيل الله ـ متفقيـن، وأما أهل السبل الشيطـانية فمتفرقون، كمـا قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وجهـكَ للدين حنيفاً فطرةَ الله التي فطَرَ الناسَ عليهَا لا تبديلَ لخلق الله ذلك الدينُ القيمُ ولكنّ أكثرَ الناسِ لا يعلمونَ . مُنيبينَ إليه واتقـوهُ وأقيمواْ الصلاة ولا تكونوا من المشركين .مـن الذين فَرقُوا دينهم وكـانوا شيعاً كلُّ حزب بمـا لديهم فرحونَ﴾ [الروم: ٣٠ ـ ٣٢].

وهكذا أهل/ الـزيارات البدعيـة، منهم من يطلب من المـزور دعاءه /٤٦
وسؤاله لربـه، واستغفاره، واستنصاره، ودعاءه له بالـرزق، وشفاعته، ونحو ذلك، وهذا وإن كان قد ذكر بعضه طائفة من العلماء، وجعلوا قوله: ﴿ولَوْ أنّهمْ إذْ ظلمواْ أنفسهم جاؤوكَ فَاستغفرواْ الله واستغفر لهمُ الرسولُ لوجدوا

---

(١) رواه الإمـام أحمد: (١/ ٤٣٥)، والـدارمي في المقـدمة: (١/ ٦٧ ــ ٦٨)، وقال أحمـد شاكر في تحقيقه للمسند: «إسناده صحيح»: (٦/ ٨٩).

الله تواباً رحيماً﴾ [النساء: ٦٤]. يتناول من يأتيه بعد الموت، فيطلب منه الاستغفار له، كما كان أصحابه يطلبون منه الاستغفار في حياته، وذكروا في ذلك حكاية لبعض الأعراب، ومناماً[1] رآه العتبي[2]، وقيل: بل رآه محمد بن حرب الهلالي، وهم مختلفون في الشعر المذكور فيها، فجمهور الأئمة لم يستحبوا ذلك، وإنما ذكره بعض أصحابهم، ولم يكن الصحابة يفعلون مثل هذا، ولا هو أيضاً معروف عن التابعين، ومعلوم أن كل واحد من المسلمين يطلب مغفرة الله، وهو مأمور بالاستغفار، فإنه لا يغفر الذنوب إلا الله، قال تعالى: ﴿والذين إذا فعلوا فاحشةً أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون﴾ [آل عمران: ١٣٥].

حكاية العتبي

طلب المغفرة من الله وحده

وفي حديث الاستفتاح الذي في الصحيح عن علي بن أبي طالب عن النبي ﷺ: «اللهم أنت ربي وأنا عبدك، ظلمت نفسي، واعترفت بذنبي، فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، واهدني لأحسن الأخلاق، فإنه لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها، فإنه لا يصرف عني

---

(١) في الأصل: «منام».

(٢) ذكر الحافظ ابن كثير هذه الحكاية عن العتبي قال: كنت جالساً عند قبر النبي ﷺ فجاء أعرابي فقال: السلام عليك يا رسول الله، سمعت الله يقول: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً﴾ وقد جئتك مستغفراً لذنبي مستشفعاً بك إلى ربي، ثم أنشأ يقول:

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه ... فطاب من طيبهن القاع والأكم

نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه ... فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثم انصرف الأعرابي، فغلبتني عيني، فرأيت النبي ﷺ في النوم فقال: يا عتبي، الحق الأعرابي فبشره أن الله قد غفر له. انظر تفسير ابن كثير ٢/ ٨٢١.

وقال ابن عبدالهادي عن هذه الحكاية: «ذكرها بعض الفقهاء والمحدثين وليست بصحيحة ولا ثابتة الى العتبي، وقد رويت بإسناد مظلم.. وهي في الجملة حكاية لا يثبت بها حكم شرعي». «الصارم المنكي»: ص ٢٧٦.

سيئها إلا أنت»[1].

وفي حديث ركوب الدابة الذي رواه أهل السنن عن علي بن أبي طالب أيضاً، عن النبي ﷺ أنه كان إذا أُتي بدابة ليركبها إذا وضع رجله في الركاب قال: «بسم الله» ثم إذا استوى على ظهرها قال: «الحمد لله» ثلاثاً. ثم يقول: ﴿سبحانَ الذي سَخَّرَ لنا هذا وما كنا له مُقْرِنين. وإنَّا إلى ربنا لمنقلبون﴾ [الزخرف: ١٣ ـ ١٤] ثم يكبر ثلاثًا، ويحمد الله ثلاثاً، ثم يقول: «لا إله إلا أنت، سبحانك، ظلمت نفسي، فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت» ثم يضحك ويقول: «ألا تسألوني مم ضحكت؟ إن الرب ليعجب إذا قال عبده اغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، يقول: علم عبدي أنه لا يغفر الذنوب إلا أنا»[2].

وكان أصحابه في حياته يأتيه أحدهم فيطلب منه أن يستغفر له كثيراً، وقد قال تعالى في المنافقين: ﴿وإذا قيلَ لهم تَعَالَوْا يستغفرْ لكم رسول الله لَوَّوْا رؤوسهم ورأيتهم يصدُّون وهم مستكبرون. سواء عليهم أستغفرتَ لهم أم لم تستغفرْ لهم لن يغفر الله لهم إن الله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ [المنافقون: ٥ ـ ٦].

وقد قال تعالى في حق [غير][3] المنافقين: ﴿فاعف عنهم واستغفرْ لهم وشاورهم في الأمر﴾ [آل عمران: ١٥٩]. / ٤٧

---

(١) رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين: (١/ ٥٣٥).

(٢) رواه أبوداود في كتاب الجهاد، باب ما يقول الرجل إذا ركب: (٣/ ٣٤)، والترمذي في كتاب الدعوات، باب ما جاء يقول إذا ركب دابة: (٥/ ١٦٤ ـ ١٦٥)، والحاكم في «مستدركه»، كتاب الجهاد: (٢/ ٩٨ ـ ٩٩)، وقال: «صحيح على شرط مسلم»، ووافقه الذهبي.

(٣) [غير] ليست موجودة في الأصل ولعل الكلام يستقيم بزيادتها. وانظر الكلام على معنى الآية في تفسير الطبري ٧/ ٣٤٠ ـ ٣٤٣.

وقال تعالى: ﴿واستغفرْ لـذنبكَ وللمـؤمنينَ والمؤمنـات﴾ [محمد: ١٩]، وقال: ﴿ولو أنهـم إذْ ظلموا أنفسَهُم جاؤوك فاستغفـروا اللهَ واستغفر لهم الرسولُ لوجدوا الله تواباً رحيماً﴾ [النساء: ٦٤].

والمؤمنون شرع لهم أن يستغفر بعضهم لبعض، وكان الصحابة أيضاً يستغفـرون للرسـول، ففي الحديث الصحيح أن الأنصار قـالوا: يغفـر الله لـرسول الله، يعطـي صناديـد نجـد ويدعنـا[1]. وفي الحـديث الآخـر، أن عبدالله بن سـرجس[2] قـال: غفر الله لـك يا رسـول الله. فقـال النبي ﷺ: «ولك» فقـالوا: استغفـر لك رسول الله ﷺ، فقـال: «ولكم». ثم قـرأ قولـه: ﴿واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات﴾[3] [محمد: ١٩].

لم يكن الصحابة يأتون قبر النبي ﷺ ويطلبـون منـه الاستغفار

فلما مات لم يكن أصحابه يأتون قبره فيقولون: استغفر لنا. كما كانوا يأتونه في حياتـه، وكذلك لما أجدبوا لم يأتوا إلى قبـره فقالوا: ادع الله لنا. كما كانـوا في حياته إذا أجدبوا أتـوا إليه فقالوا: ادع الله لنا، بـل كانوا هم يـدعـون الله، ويستسقـون تـارة بـالعبـاس[4]، وتـارة بيـزيـد بـن الأسـود الجرشي[5]، فيقولون له: ادع لنا، ويقولون: اللهم إنا نتوسل [إليك][6] به،

(١) رواه بنحوه البخـاري في كتاب المغـازي، باب غزوة الطـائف: (٥/ ١٠٤)، ومسلم في كتاب الزكاة (٢/ ٧٤١).

(٢) عبدالله بن سَرْجس ـ بفتح المهملة وسكون الراء وكسر الجيم بعدها مهملة ـ المزني، حليف بني مخزوم، صحابي سكن البصرة. انظر ترجمته في تقريب التهذيب رقم٣٣٦٥ ص٥١٠.

(٣) رواه مسلم مختصراً في كتاب الفضائل: (٤/ ١٨٢٣ ـ ١٨٢٤)، وأحمد بنحوه: (٥/ ٨٢).

(٤) العباس بن عبدالمطلب بن هاشم، صحابي مشهور وهو عم النبي ﷺ مات سنة ٣٢، أو بعدها، وهو ابن ثمان وثمانين سنة. انظر ترجمته في تقريب التهذيب رقم ٣١٩٤ ص٤٨٧.

(٥) يزيد بن الأسود الجرشي يكنى أبا الأسود، سكن الشام، ذكر في الصحابة ولا يثبت. انظر ترجمته في أسد الغابة ٥/ ١٠٣.

(٦) غير موجودة في الأصل.

أي بدعائه وشفاعته، وكثيراً من الأوقات لا يستسقون الله بأحد، بل يدعون الله تعالى.

وكذلك في الاستنصار، كانوا في حياته يقولون: يارسول الله، ألا تدعو لنا، ألا تستنصر لنا؟ وأما بعد موته فلم يكونوا يفعلون ذلك، بل كانوا هم يدعون الله تعالى، ويستنصرونه، يعتدّون به، وكان عمر لما غزا النصارى يقنت عليهم في الصلاة، كما كان النبي ﷺ يقنت على الكفار، وكان عمر يدعو بدعاء يناسب ذلك فيقول: اللهم عذب كفرة أهل الكتاب، الذين يصدون عن سبيلك، ويبدلون دينك، ويكذبون رسولك[1]. ونحو ذلك[2]، كما كان النبي ﷺ يقنت يدعو للمؤمنين، ويلعن الكفار، ويدعو بدعاء يناسب ذلك مثل قوله: «اللهم أنج الوليد بن الوليد[3]، وسلمة بن هشام[4]، وعياش بن أبي ربيعة[5]، والمستضعفين من

---

(١) ورد في حديث رواه الإمام أحمد مرفوعاً بلفظ: «اللهم قاتل الكفرة الذين يكذبون رسلك، ويصدون عن سبيلك، واجعل عليهم رجزك وعذابك، اللهم قاتل الكفرة الذي أوتوا الكتاب، إله الحق»، رواه الإمام أحمد: (٣/ ٤٢٤)، وقال الهيثمي: «رجال أحمد رجال الصحيح»، «مجمع الزوائد»: (٦/ ١٢٢).

(٢) انظر قنوت عمر رضي الله عنه بدعاء أطول من هذا في مصنف عبدالرزاق، كتاب الصلاة، باب القنوت، ج٣ص١١٠، ١١١.

(٣) الوليد بن الوليد بن المغيرة المخزومي أخو خالد بن الوليد، أسلم بعد غزوة بدر فحبس بمكة ودعا له الرسول ﷺ فيمن دعا لهم من المستضعفين المؤمنين بمكة ثم أفلت من أسارهم ولحق بالرسول ﷺ وشهد مع النبي ﷺ عمرة القضية ومات بعد ذلك. انظر أسد الغابة ٥/ ٩٣.

(٤) سلمة بن هشام بن المغيرة المخزومي أسلم قديماً وكان من خيار الصحابة، وهاجر إلى الحبشة، ومنع سلمة من الهجرة إلى المدينة، وعذب في الله عز وجل، فكان رسول الله ﷺ يدعو له في القنوت في صلاة الصبح، ثم إنه خرج مجاهداً إلى الشام بعد وفاة الرسول ﷺ وقتل بمرج الصفر سنة ١٤ أول خلافة عمر. انظر أسد الغابة ٢/ ٣٤١.

(٥) عياش بن أبي ربيعة ابن المغيرة المخزومي، أسلم قديماً وهاجر إلى الحبشة ثم إلى =

المؤمنين»[1] ومثل قوله: «اللهم العن رعلاً، وذكوان، وعصية»[2].

وكذلك لما استسقى [عمر][3] بالعباس قال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبيك فتسقنا، وإنا نتوسل إليك بعم نبيّنا فاسقنا، فيسقون. رواه البخاري في صحيحه.

وكان توسلهم به في حياته توسلاً بدعائه، وشفاعته، واستسقائه لهم، فلما مات لم يطلبوا ذلك منه بعد موته، ولا قالوا: ادع لنا، بل توسلوا بدعاء العباس.

حكاية الرجل الذي أتى قبر النبي ﷺ عام الرمادة

فإن قيل: فقد روي أن رجلاً أتى إلى قبر النبي ﷺ عام الرمادة، فقال: يا رسول الله، هلكت أمتك، فادع الله لنا، فرأى النبي ﷺ في المنام وقال: ائت عمر فقل: عليك بالكيس، ومره أن يستسقي بالناس، واستسقى عمر فسقي الناس[4].

= المدينة ،ورجع إلى أمه بمكة بحيلة من أخويه لأمه، أبي جهل والحارث ابني هشام فأوثقاه وحبساه بمكة فقنت النبي ﷺ يدعو له وللمستضعفين بمكة. انظر أسد الغابة ٤/ ١٦١.

(١) رواه البخاري في كتاب الدعوات، باب الدعاء على المشركين: (٧/ ١٦٥)، ومسلم واللفظ له في كتاب المساجد: (١/ ٤٦٦ ـ ٤٦٧) لكن قال: «اللهم أنج...».

(٢) رواه مسلم في كتاب المساجد: (١/ ٤٦٧).

(٣) غير موجودة في الأصل.

(٤) أورد هذه الحكاية ابن كثير في «البداية والنهاية»: (٧/ ٩١ ـ ٩٢)، ونسبها للبيهقي وصحح إسنادها، وذكر الحافظ ابن حجر أن ابن أبي شيبة رواها بإسناد صحيح، كما في «فتح الباري»: (٢/ ٤٩٥)، وعلق سماحة الشيخ عبدالعزيز ابن باز على كلام الحافظ ابن حجر بقوله: «هذا الأثر على فرض صحته كما قال الشارح ليس بحجة على جواز الاستسقاء بالنبي ﷺ بعد وفاته لأن السائل مجهول ولأن عمل الصحابة رضي الله عنهم على خلافه وهم أعلم بالشرع ولم يأت أحد منهم إلى قبره يسأله =

قيل: هذه الحكاية حجّة على المنازع، فإن هذا الرجل لما طلب منه، ما قال له: أنا أدعو لكم، بل أمرهم بما شرعه لهم، وسنه لهم، وهو أنهم يدعون الله، ويستسقون به. وفي الحكاية أنه قال/ له: قل لعمر عليك بالكيس، أي بالاستقامة، فلما قال لعمر: قال: ما آلو جهدي. /٤٨

فهذا فيه أنه أمرهم بطاعة الله ورسوله وأمرهم بالاستسقاء، وهذا هو شرعه الذي شرعه لهم في حياته، فلم يأمرهم بعد الموت إلا بما أمرهم في حياته، وهذا الرجل الذي قال له: ادع لأمتك، مجهول، ما هو من المهاجرين، والأنصار، الذين يقتدى بهم، ويكفيك أنه لم يأت أحد منهم إلى قبره يطلب منه الدعاء إلا رجل مجهول، لا يعرف، فأما المهاجرون والأنصار الذين هم أعلم الناس بدينه، وأتبعهم له، فلم يأت أحد إليه، ولم يطلب منه الدعاء، ثم هذا الطالب للدعاء لم يُعط طلبه، ولا قال: أنا أدعو لكم، بل قال: أطيعوا أمري، وادعوا أنتم الله يجيبكم.

وهذا هو الحق الذي بعثه الله به، فإن سعادة الدنيا والآخرة في طاعته، واتباعه، والاقتداء به، وفعل ما أمر، وترك ما حظر، وموالاة أوليائه، ومعاداة أعدائه، وتحليل ما حلّل، وتحريم ما حرّم، وتصديقه في كل ما أخبر به عن الله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وغير ذلك من أنباء

= السقيا ولا غيرها، بل عدل عمر عنه لما وقع الجدب إلى الاستسقاء بالعباس، ولم ينكر ذلك عليه أحد من الصحابة، فعلم أن ذلك هو الحق وأن ما فعله هذا الرجل منكر ووسيلة إلى الشرك...» انظر تعليق سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز على فتح الباري ٢/ ٤٩٥. كما ضعّف هذه الحكاية الألباني في كتابه «التوسل»: ص ١١٩ ـ ١٢٢.

الغيب، بل هو الصادق المصدوق في كل ما يخبر به، وهو الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، وقد استأذنه عبد الله بن عمرو في أن يكتب ما يسمع منه، وقال له بعض قريش: إن رسول الله ﷺ يتكلم في الغضب والرضا، فقال: «اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج من بينهما إلا الحق»[1].

ولو كان قد شرع للمسلمين أن يطلبوا منه الاستغفار، والاستنصار، والاستسقاء، وغير ذلك من أنواع الأدعية، والرغبات، كما كانوا يطلبون ذلك منه في حياته، وكما يطلب منه الخلق يوم القيامة أن يشفع لهم؛ لكان أمره بذلك معروفاً، منقولاً عنه، كما نقل سائر ما أمرهم به، فإنه قد قال: «ما تركت شيئاً يقربكم إلى الجنة إلا وقد حدثتكم به، ولا شيئاً يبعدكم من النار إلا وقد حدثتكم عنه»[2] وقال: «تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك»[3].

---

(١) رواه بنحوه أبو داود في كتاب العلم، باب في كتاب العلم: (٣/ ٣١٨)، وأحمد: (٢/ ١٦٢، ١٩٢)، والدارمي في المقدمة، باب من رخص في كتابة العلم: (١/ ١٢٥)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع»: (١/ ٢٦٢).

(٢) في الأصل: «حذرتكم منه» وهو خطأ، ولعل الصواب ما أثبته، كما أورده شيخ الإسلام في كتابه «درء تعارض العقل والنقل»: (١/ ٧٥)، والحديث لم أجده بهذا اللفظ. ولكن روى الشافعي بمعناه عن المطلب بن حنطب أن النبي ﷺ قال: «ما تركت شيئاً مما أمركم الله به إلا وقد أمرتكم به، ولا تركت شيئاً مما نهاكم عنه إلا وقد نهيتكم عنه» الحديث، رواه الشافعي في مسنده ص٢٣٣، وقال الألباني: هذا إسناد مرسل حسن. انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم ١٨٠٣، ٤/ ٤١٧. وروى عبدالرزاق في مصنفه بسنده عن معمر عن عمران صاحب له قال: إن رسول الله ﷺ قال: ما تركت شيئاً يقربكم من الجنة ويباعدكم عن النار إلا قد بينته لكم...» رواه عبدالرزاق في مصنفه، باب القدر ١١/ ١٢٥ برقم ٢٠١٠٠.

(٣) رواه ابن ماجه في المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين: (١/ ١٦)، =

وقال أبوذر: لقد توفي رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلا ذكرنا منه علماً[1].

فلو كان سنّ لهم أن يطلبوا منه الأدعية بعد موته لكان هذا معروفاً عندهم منقولاً عنه، ولكان أصحابه أعلم بذلك من غيرهم، وهم أطوع له، وأتبع لسنته، فكانوا بعد موته يأتون قبره فيطلبون منه أن يدعو لهم بالمغفرة، ويدعو لهم بالهداية، ويدعو لهم بالنصر، ويدعو لهم بالرزق، ويدعو لهم بقضاء الديون، ويدعو لهم بكشف الضُّر، وغير ذلك كما كان بعضهم/ يطلب منه الدعاء في حياته، مع أن أجِلائهم كأبي بكر وأمثاله قد تعلموا منه أنهم لا يسألون إلا الله، ولا يدعون إلا الله، فكان الصديق يسقط السوط من يده فلا يقول لأحد: ناولني إياه، ويقول: إن خليلي أمرني أن لا أسأل الناس شيئاً[2]. رواه أحمد في المسند. /٤٩

وقال النبي ﷺ لابن عباس: «إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله»[3]، وفي صحيح مسلم عن عوف بن مالك أنه بايع رهطاً من أصحابه، وأسر إليهم كلمة خفية، ألا تسألوا الناس شيئاً. قال: فلقد

= وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه»: (١/ ١٣ ـ ١٤).

(١) رواه بنحوه أحمد: (٥/ ١٥٣، ١٦٢)، وقال الهيثمي: «وفي إسناد أحمد من لم يسم». «مجمع الزوائد»: (٨/ ٢٦٤)، وذكر رواية أخري عند الطبراني وقال: «رجاله رجال الصحيح». «مجمع الزوائد»: (٨/ ٢٦٤).

(٢) رواه أحمد: (١/ ١١) وقال أحمد شاكر في تحقيقه للمسند: «إسناده ضعيف لانقطاعه»: (١/ ١٨٠ ـ ١٨١).

(٣) رواه الترمذي في كتاب صفة القيامة، الباب الثاني والعشرين: (٤/ ٧٦)، وأحمد: (١/ ٢٩٣)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع»: (٢/ ١٣١٧ ـ ١٣١٨).

رأيت بعض أولئك النّفر يسقط السوط من يده فلا يقول لأحد: ناولني إياه[1].

وقد ثبت في الحديث المتفق على صحته أنه قال: «يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون»[2] فهؤلاء لا يقولون لأحد: ارقنا، وقد كان جماعة يأتون إلى النبي ﷺ ويطلبون منه الرقية ويطلبون ذلك من بعض أصحابه، وهذا وإن كان جائزاً لكن أولئك لا يسألون إلا الله، فدرجتهم أعلى، وأما بعد موته، فلم يكن الصحابة يطلبون منه ما كانوا يطلبون منه في حياته، لا من دعاء، ولا من غير دعاء البتة، ولا كان السلف في القرون الثلاثة يأتون إلى قبر أحدٍ من الأنبياء، والصالحين، يطلبون منه حاجة، ولا دعاء، ولا غيره، ولا يسافرن إلى قبره، بل إذا زاروا قبور المؤمنين كان مقصودهم الدعاء لهم كالصلاة على جنائزهم، لا دعاؤهم، ولا الدعاء بهم.

م يكن الصحابة طلبون منه بعد وته ما كانوا طلبون منه في ياته

فتبين أن قول جمهور العلماء الذين لا يستحبون أن يطلب منه بعد موته استغفار، ولا غيره، هو المشروع الذي كان عليه الصحابة.

وأيضاً فلو شرع أن يطلب من الميت الدعاء، والشفاعة، كما كان يطلب منه في حياته؛ كان ذلك مشروعاً في حق الأنبياء، والصالحين، فكان يسنّ أن يأتي الرجل قبر الرجل الصالح، نبيًّا كان، أو غيره، فيقول:

---

(١) رواه مسلم بنحوه في كتاب الزكاة: (٢/ ٧٢١).

(٢) رواه البخاري في كتاب الرقائق، باب: (ومن يتوكل على الله فهو حسبه): (٧/ ١٨٣)، ومسلم بنحوه في كتاب الإيمان: (١/ ١٩٨).

ادع لي بـالمغفرة، والنصر، والهـدى، والرزق، اشفع لي إلى ربـك، فيتخذ الرجل الصالح شفيعاً بعد المـوت، كما يفعل ذلك النصارى، وكما تفعل كثير من مبتدعة المسلمين، وإذا جـاز طلب هذا منه، جاز أن يطلب ذلك من الملائكة، فيقال: يا جبريل، يا ميكائيل، اشفع لنا إلى ربك، ادع لنا.

ومعلوم أن هذا ليس من دين المسلمين، ولا دين أحد من الرسل، لم يسنّ أحد من الأنبياء للخلق أن يطلبوا من الصالحين الموتى، والغائبين، والملائكة، دعـاء، ولا شفاعة، بل هذا أصل الشرك، فـإن المشركين إنما اتخذوهـم شفعاء، قـال تعالى: ﴿ويعبـدونَ من دون الله ما لا يضـرُّهـم ولا ينفعهم ويقـولونَ هـؤلاءِ شفعاؤنـا عند الله قُلْ أتنبئـونَ اللهَ بما لا يعلـم في السمواتِ ولا في الأرض﴾ [يونس: ١٨]/ . /٥٠

وقـال: ﴿ولقد جئتمـونـا فُرادى كمـا خلقناكـم أول مرةٍ وتـركتم مـا خولناكم وراء ظهوركم وما نـرَىٰ معكمْ شُفعاءَكُم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضلّ عنكمْ مّا كنتمْ تزعمون﴾ [الأنعام: ٩٤].

وقال تعالـى: ﴿وكم من مَلَكٍ في السموات لا تغني شفـاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذنَ اللهُ لمن يشاء ويرضى﴾ [النجم: ٢٦].

وقال تعالى: ﴿قل ادعوا الـذين زعمتم من دون الله لا يملكونَ مثقالَ ذرةٍ في السمواتِ ولا في الأرضِ وما لهم فيهما مـن شِرْكٍ وما له منهم من ظهيـر. ولا تنفعُ الشفاعـةُ عنده إلا لمـن أذنَ لَهُ حتى إذا فُـزِّع عَنْ قلـوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحقَّ وهو العليُّ الكبير﴾ [سبأ: ٢٢ ـ ٢٣].

وقال: ﴿وأنذرْ بـه الذين يخافونَ أن يُحْشَروا إلـى ربهم ليس لهم من دونه وليٌّ ولا شفيعٌ﴾ [الأنعام: ٥١].

وقال: ﴿ الله الـذي خلقَ السمـــواتِ والأرضَ ومـا بينهمـا في ستـةِ أيـامٍ ثـم استـوى علـى العـرشِ مـا لكم مـن دونـه مـن وليٍّ ولا شفيـع﴾ [السجدة: ٤][1].

وقال: ﴿يُدبرُ الأمر ما من شفيعٍ إلا من بعد إذنه﴾ [يونس: ٣].

فهذه الشفاعة التي كان[2] المشركون يثبتونهـا أبطلها القرآن في غير موضع، وهي كشفاعة المخلوق عند المخلـوق بغير إذنه، فإن هذا الشافع شريك للمشفـوع إليه، فإنه طلب منـه ما لم يكن يريـد أن يفعله، فيحتاج لقضاء حق من الشفيع أن يفعله، فالشفيـع بغير إذن المشفوع إليه شريك له، والله تعـالى لا شـريك له، ولهـذا قال: ﴿لـهُ ما فـي السموات ومـا في الأرض مَنْ ذا الذي يشفعُ عنده إلا بإذنه﴾ [البقرة: ٢٥٥].

يشفع أحـد
ند الله إلا بإذنه

فلو شفـع أحد بغير إذنـه شفاعـة نافعة مقبـولة كان شـريكاً لـه، وهو سبحانه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، وهذا من وجهين:

أحدهما: أنه هو الـذي يخلق أفعال العباد، فلا يفعـل أحد شيئاً إلا بمشيئته.

والثاني: وهو المقصود: أن الملائكـة، والأنبياء، لا يشفعون عنده إلا بإذنه، فـلا تكون شفاعتهم مقبولة نـافعة إلا إذا كانت بإذنه، ومـا وقع بغير إذنه لم يقبل، ولم ينفع، وإن كان الشفيع عظيماً، فالكفار، والمنافقون، لا يغفر لهم ولـو استغفرت لهم الأنبيـاء، كما في قصة آزر أبـي الخليل، وفي

---

(١) وقع تحـريف في الأصـل فقد كتبت الآيـة هكذا: «إن ربكـم الله الذي خلق السمـوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع».

(٢) في الأصل: «كانت».

قصة الاستغفار للمنافقين، وفي دعاء نوح لابنه، وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «استأذنت ربي في أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي، فزوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة».

ومعلوم أن محمداً ﷺ أفضل الشفعاء، وسيد ولد آدم، وأكرم الخلق على ربه، وأعظمهم جاهاً عنده في الدنيا والآخرة، وهو صاحب لواء الحمد، آدم فمن دونه تحت لوائه يوم القيامة، وهو صاحب المقام المحمود، وهو الشفاعة التي يرغب إليه فيها الأولون والآخرون.

/ ففي الصحيحين من حديث أنس قال: حدثنا محمد ﷺ قال: /٥١

حديث الشفاعة الطويل

«إذا كان يوم القيامة ماج النـاسُ بعضهم إلى بعض، فيأتون آدم، فيقولون: اشفع لذريتك، فيقول: لست لها، ولكن[1] عليكم بنوح، فيأتون نوحاً فيقول: لست لها، ولكن عليكم بموسى، فإنه كليم الله، فيأتون موسى، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بعيسى، فإنه روح الله، وكلمته، فيأتون عيسى، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بمحمد، فيأتوني فأقول: أنا لها، فأنطلق، فأستأذن على ربي، فيؤذن لي، فأقوم بين يديه، فأحمده بمحامد لا أقدر عليها الآن، يلهمنيها الله، ثم أخرُّ ساجداً، فيقول: يامحمد، ارفع رأسك، وقل يسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأقول: يارب أمتي أمتي، فيقال: انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من برة أو شعيرة من إيمان فأخرجه منها، فأنطلق، فأفعل، ثم أرجع إلى ربي فأحمده بتلك المحامد، ثم أخرُّ له ساجداً، فيقول لي: يا محمد، ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأقول: يا ربّ أمتي أمتي، فيقال لي: انطلق، فمن كان في قلبه مثقال حبة من خردل من

---

(١) في الصحيحين: «ولكن عليكم بإبراهيم...».

إيمـان فأخرجـه منهـا، فأنطلق، فأفعـل، ثم أعـود إلى ربي أحمـده بتلك المحامد، ثم أخرُّ له ساجداً، فيقال لي: يا محمد ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسـل تعطه، واشفـع تشفع، فأقـول: يا رب أمتـي أمتي، فيقـال لي: انطلق، فمن كـان في قلبه أدنى أدنى أدنـى من مثقال حبة مـن خردل من إيمان فأخرجه من النار، فأنطلق، فأفعل»[1].

وعن أنـس قال: قـال رسول الله ﷺ: يجمـع الله الناس يـوم القيامـة فيهتمون لذلـك، فيقولون: لو استشفعنا إلـى ربنا حتى يريحنا مـن مكاننا هذا، قـال: فيأتـون آدم، فيقولون: أنـت آدم، أبو الخلق، خلقـك الله بيده، ونفخ فيـك من روحه، وأمـر الملائكـة فسجدوا لـك، اشفع لنا إلـى ربك حتي يريحنـا من مكاننا هـذا، فيقول: لست هنـاكم ـ فيذكـر خطيئته التي أصاب فيستحي ربّـه منها ـ ولكن ائتـوا نوحاً أول رسول بعثـه الله إلى أهل الأرض، قال: فيـأتون نـوحاً فيقـول: لست هناكـم ـ فيـذكر خطيئتـه التي أصاب فيستحـي ربّه منها ـــ ولكن ائتوا إبـراهيم الذي اتخـذه الله خليلاً ، فيأتون إبـراهيم، فيقول: لست هناكـم، ولكن ائتوا موسى الـذي كلمه الله، وأعطاه التوراة، قال: فيأتون موسى، فيقـول: لست هناكم ـ ويذكر خطيئته
/ ٥٢ التي أصاب فيستحي ربّـه منها ـ / ولكن ائتوا محمداً، عبداً غفـر الله له ما تقدم من ذنبه ومـا تأخر، قال رسول الله ﷺ: فيأتـوني، فأستأذن على ربي، فيؤذن لي، فإذا رأيته وقعت ساجداً، فيـدعني ما شاء الله، فقال: يا محمد، ارفع رأسك، قل يسمـع، اشفع تشفع، فأرفع رأسي، فأحمـد ربي بتحميد

---

(١) رواه باختلاف في بعض ألفـاظه: البخاري في كتاب التوحيد، باب كـلام الربّ عزّوجلّ يـوم القيامـة مع الأنبيـاء: (٨/ ٢٠٠ ـ ٢٠٢)، ومسلـم في كتاب الإيمـان: (١/ ١٨٢ ـ ١٨٤).

يعلمنيه ربي، ثم أشفع فيحدّ لي حدًّا، فأخرجهم من النار، وأدخلهم الجنة، ثم أعود فأقع ساجداً، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقال: ارفع يا محمد، قل يسمع، سل تعطه، اشفع تشفع، فأرفع رأسي، فأحمد ربي بتحميد يعلمنيه، ثم أشفع فيحدّ لي حدًّا، فأخرجهم من النار، وأدخلهم الجنة،قال: فلا أدري في الثالثة أو الرابعة قال: فأقول: يا ربّ ما بقي في النارإلا من حبسه القرآن» قال قتادة: أي وجب عليه الخلود[1].

وفي حديث أبي هريرة: «يجمع الله يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيد واحد، فيسمعهم الداعي، وينفذهم البصر، وتدنو الشمس، فيبلغ الناس من الغمّ والكرب ما لا يطيقون، وما لا يحتملون، ويقول بعض الناس لبعض: ألا ترون ما أنتم فيه، ألا ترون ما قد بلغكم، ألا تنظرون إلى من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: ائتوا آدم، فيأتون آدم، فيقولون: يا آدم أنت أبو البشر، خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحاً، فيقولون : يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وسماك الله: عبداً شكوراً، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم: إن ربي قد غضب غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد كانت لي دعوة دعوت بها على قومي، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري،

---

(١) رواه باختلاف في بعض ألفاظه: البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿لما خلقت بيدي﴾: (٨/ ١٧٢ ـ ١٧٣)، ومسلم في كتاب الإيمان: (١/ ١٨٠ ـ ١٨١).

اذهبوا إلى إبراهيم، فيأتون إبراهيم، فيقول: أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض، اشفع لنا إلى ربّك، ألا ترى إلى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم إبراهيم: إن ربي قد غضب غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله ـ وذكر كذباته ـ نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى، فيأتون موسى، فيقولون: يا موسى أنت رسول الله، فضّلك الله برسالاته وبتكليمه على النّاس، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم موسى: إن ربي قد غضب غضباً لم
/ ٥٣ يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده/ مثله، وإني قتلت نفساً لم أومر بقتلها، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى عيسى، فيأتون عيسى، فيقولون: ياعيسى أنت رسول الله وكلّمت النّاس في المهد، وكلمة منه ألقاها إلى مريم، وروح منه، فاشفع لنا إلى ربّك، ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول عيسى: إن ربي قد غضب غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، ـ ولم يذكر ذنباً ـ اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد، فيأتوني، فيقولون: يا محمد أنت رسول الله، وخاتم الأنبياء، وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا؟ فأنطلق، فآتي تحت العرش، فأقع ساجداً لربّي، ثم يفتح الله عليّ، ويلهمني من محامده، وحسن الثناء عليه، شيئاً لم يفتحه لأحد قبلي، ثم قال: يامحمد، ارفع رأسك، سل تعطه، اشفع تشفّع، فأرفع رأسي، فأقول: ياربّ أمتي أمتي، فيقال: يا محمد، أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه، من الباب[1] الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب،

---

(١) في الأصل: «باب».

والذي نفس محمد بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر، أو كما بين مكة وبصرى»[1].

فقد أخبر ﷺ أنه إذا أتى لا يبدأ بالشفاعة؛ لقوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الذي يَشفعُ عندهُ إلا بإذنهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥] بل يبدأ بالسجود لربه، والحمد له، والثناء عليه، فإن الله يسمع لمن حمده، كما قال على لسان نبيه: سمع الله لمن حمده.

والحمد أحق ما قال العبد، كما كان النبي ﷺ يقول إذا رفع رأسه من الركوع: «ربنا ولك الحمد ملء السموات، وملء الأرض، وملء ما بينهما، وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد، وكلّنا لك عبد، لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد»[2]، أي: تحميدك، والثناء عليك، وتمجيدك، أحق ما قال العبد.

وهو أول ما أنطق الله به آدم، وهو الذي أمرنا أن نفتتح به كل كلام، كما قال النبي ﷺ: «كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أجذم»[3].

فلهذا ابتدأ بالسجود وما يفتحه الله عليه من محامده لربه، فإذا سجد وحمد قيل له: ارفع رأسك، وقل يسمع، وسل تعطه، واشفع تُشفع، وإذا شفع حدّ له حدًّا فيدخلهم الجنة، فالربّ عزّ وجلّ يأذن فيمن يشاء،

---

(١) رواه باختلاف في بعض ألفاظه: البخاري في كتاب التفسير، سورة بني إسرائيل: (٥/ ٢٢٥ ـ ٢٢٧)، ومسلم في كتاب الإيمان: (١/ ١٨٤ ـ ١٨٦).

(٢) رواه مسلم بلفظ: «ربنا لك الحمد..» في كتاب الصلاة: (١/ ٣٤٧).

(٣) رواه أبو داود بلفظ: «كل كلام لا يبدأ..» في كتاب الأدب، باب الهدي في الكلام: (٤/ ٢٦١)، وابن ماجه ولفظه: «كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد فهو أقطع» في كتاب النكاح، باب خطبة النكاح: (١/ ٦١٠). وضعفه الألباني في «إرواء الغليل»: (١/ ٣٠ ـ ٣٢).

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة أنه قال: قلت: يارسول الله، من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال: «لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أولى منك؛/ لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله، خالصاً من قبل نفسه»[1].

أسعد الناس بشفاعته ﷺ/ ٥٤

فأهل التوحيد المخلصون لله هم أحق الناس بشفاعته ﷺ، فمن كان لا يدعو إلا الله، ولا يرجو إلا الله، ولا يتوكل إلا على الله، ولا يدعو مخلوقاً، لا ملكاً، ولا بشراً، لا نبيًّا، ولا صالحاً، ولا غيرهما، كان أحق بشفاعته ممن يدعوه، أو يدعو غيره من المخلوقين، فإن هؤلاء مشركون، والشفاعة إنما هي لأهل التوحيد.

وإذا كان كذلك فالذين يدعون المخلوقين، ويطلبون من الموتى، والغائبين، من الملائكة، والبشر، الدعاء، والشفاعة، هم أبعد عن الشفاعة فيهم، والذين لا يدعون إلا الله هم أحق بالشفاعة لهم، والله تعالى قد جعل الملائكة يدعون، ويستغفرون لأهل التوحيد، فقال تعالى: ﴿الذين يحملون العرش ومن حولهُ يُسبحونَ بحمدِ ربهمْ ويُؤمنُونَ بهِ ويستغفرونَ للذينَ آمنوا ربنَا وسعتَ كُل شيء رحمةً وعلماً فاغفر للذين تابُوا واتبعوا سبيلكَ وقِهِم عذابَ الجحيم. ربنا وأدخلهم جنات عدنٍ التي وعدتهم ومن صلحَ من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم. وقهم السيئات ومن تقِ السيئات يومئذٍ فقد رحمتهُ وذلك هوَ الفوزُ العظيمُ﴾ [غافر: ٧ ـ ٩] وقال تعالى: ﴿والملائكة يُسبحون بحمد ربهمْ ويستغفرونَ لمنْ في الأرضِ ألا إن الله هوَ الغفورُ الرحيمُ﴾ [الشورى: ٥].

---

(١) رواه البخاري في كتاب العلم، باب الحرص على الحديث: (١/ ٣٣).

وثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الملائكة تصلي على أحدكم مادام في مصلاه، اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، ما لم يحدث»[1].

وقد قال تعالى: ﴿هُوَ الـذي يُصلي عليكم وملائكتهُ ليخرجكم من الظلماتِ إلى النورِ﴾ [الأحزاب: ٤٣].

وقال النبي ﷺ: «إن الله وملائكته يصلون على معلم الناس الخير»[2] وفي حديث آخر: «إنه ليستغفر له كل شيء حتى حيتان البحر»[3].

الناس إذا فعلوا ما أمروا به فتح الله عليهم أبواب رحمته

فالناس إذا فعلوا ما أمروا به فتح الله عليهم أبواب رحمته من ملائكته وغير ملائكته، وقد روي أن أعمال الأحياء تعرض على الموتى، وأنهم إن وجدوا شيئاً استغفروا لصاحبه، وروي أن أعمال الأمة تعرض على الرسول كذلك، كما رواه الطبري عن أبي هريرة قال: «إن أعمالكم تعرض على أقربائكم من موتاكم فإن رأوا خيراً فرحوا به، وإن رأوا شرًّا كرهوه، وإنهم يستخبرون الميت إذا أتاهم من مات بعدهم، [[4] حتى إن الرجل ليسأل عن امرأته: آزوجت أم لا.. وحتى إن الرجل ليسأل عن الرجل، فإذا قيل: قد مات [قال][5]: هيهات ذهب، فإن لم يجدوه[6]

---

(١) رواه مسلم بلفظ: «في مجلسه» بدل «مصلاه» في كتاب المساجد: (١/ ٤٥٩).

(٢) رواه الترمذي في كتاب العلم، باب فضل الفقه على العبادة: (٤/ ١٥٤) وصححه الألباني في «صحيح الجامع»: (٢/ ٧٧٦).

(٣) رواه بنحوه الترمذي في كتاب العلم، باب في فضل الفقه على العبادة: (٤/ ١٥٣)، وابن ماجه في المقدمة، باب ثواب معلم الناس الخير: (١/ ٨٧)، وأحمد: (٥/ ١٩٦)، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه»: (١/ ٤٦).

(٤) من قوله: «حتى» إلى قوله: «ما أعرف له إسناداً» ملحق في الهامش وبعضه غير واضح وبعضه مطموس، وهكذا استظهرته.

(٥) غير موجودة في الهامش المصور، وهكذا استظهرتها.

(٦) غير واضحة في الهامش وهكذا استظهرتها.

عندهم قالوا: إنا لله وإنا إليه راجعون ذهب به إلى أمه الهاوية»[1].

وقد جاء عن السلف الخلاف في تأويل قوله: «ما أنتم بأسمع لما أقول منهم»[2] وهذا مبسوط في جوابي عن الأرواح، فأما علم الأموات بأحوال الأحياء ففيه آثار كثيرة، مثل ما رواه أبو حاتم في صحيحه عن أبي أيوب الأنصاري، وأما استغفارهم لهم فما يحضرني إسناده، وكذلك ما يروى أن الرسول يستغفر لهم ما أعرف له إسناداً] فهذا إن كان ثابتاً ففيه استغفار الرسول والصالحين[3] بأمر ربهم، كما تستغفر الملائكة هنا، فما أمروا به لا حاجة إلى طلبه منهم، وما لم/ يؤمروا به لا يفعلونه وإن طلب منهم، فإنهم لا يشفعون إلا بإذنه. /٥٥

شبهة المشركين في الاستشفاع بالمخلوقين

وحينئذ فلا فائدة في طلب الدعاء، والشفاعة، لا من الملائكة، ولا من الأموات، الأنبياء والصالحين، ومن طلب منهم؛ فتح أبواب الشرك، فإنه إذا اعتقد الناس أن ما طلب من الميت، أو الملك، من دعاء، وشفاعة، بذله، طلبوا ذلك؛ لكثرة حاجات الخلق، لاسيما إذا اعتقد ما

---

(١) لم أجد هذا الأثر في مظانه من الطبري وقد روى ابن المبارك في الزهد «عن أبي أيوب الأنصاري قال: إذا قبضت نفس العبد تلقاه أهل الرحمة من عباد الله كما يلقون البشير في الدنيا، فيقبلون عليه ليسألوه، فيقول بعضهم لبعض: أنظروا أخاكم حتى يستريح، فإنه كان في كرب، فيقبلون عليه فيسألونه: ما فعل فلان؟ ما فعلت فلانة؟ هل تزوجت؟ فإذا سألوا عن الرجل مات قبله؟ قال لهم: إنه قد هلك، فيقولون: إنا لله وإنا إليه راجعون، ذهب به إلى أمه الهاوية، فبئست الأم وبئست المربية، فيعرض عليهم أعمالهم، فإذا رأوا حسناً فرحوا واستبشروا، وقالوا: هذا نعمتك على عبدك، فأتمها، وإن رأوا سوءاً قالوا: اللهم راجع عبدك» رواه ابن المبارك في الزهد باب بشرى المؤمن عند الموت وغير ذلك، رقم الحديث ٤٤٣ ص١٤٩ وروى الحاكم في مستدركه عن الحسن مرسلاً قال رسول الله ﷺ: «إذا مات العبد المؤمن تلقى روحه أرواح المؤمنين فيقولوا له: ما فعل فلان، فإذا قال: مات. قالوا: ذهب به إلى أمه الهاوية فبئست الأم وبئست المربية»، وقال الحاكم: هذا حديث مرسل صحيح الإسناد. انظر المستدرك ٢/ ١٣٤. وانظر الدر المنثور للسيوطي ٦/ ٣٨٦.

(٢) رواه البخاري في كتاب المغازي، باب قتل أبي جهل: (٥/ ٨ ـ ٩).

(٣) في الأصل: «والصالحون».

يقوله المشركون الذين يقولون: إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى، يقولون: هؤلاء خواص الربّ فنحن نتقرب إليه بهم كما نتقرب إلى الملوك بخواصهم، فكما أن آحاد الرعيّة لا تصلح أن تخاطب السّلطان، بل يدخل على خواصه حتى يخاطبوه له، كذلك نحن لا يصلح لنا أن نطلب من الله، بل نطلب من خواصه أن يسألوه، وإذا أقدمنا على الطلب منه كان ذلك سوء أدب عليه، واجتراء عليه، كما يكون ذلك سوء أدب على الملوك، واجتراء عليهم، فهذه من أعظم شبه المشركين الذين قال الله فيهم: ﴿وَالذين اتخذواْ من دُونِهِ أولياء مَا نعبدهم إلا ليُقربونا إلى الله زلفى﴾ [الزمر: ٣] أي : يقولون :ما نعبدهم.

وقال تعالى: ﴿وَيعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾ [يونس: ١٨] فهؤلاء دعوا الملائكة، والأنبياء، والصالحين، وقد رد الله على هؤلاء في غير موضع من القرآن، ورسل الله كلهم ردوا على هؤلاء، وهذا الذي ذكروه من قياس الله على خلقه، قياس فاسد، وضربوا لله مثل السوء، والله له المثل الأعلى، وذلك أن الملوك هم عاجزون عن أمور الرعية، إن لم يكن لهم من يعاونهم، بل من يدفع عنهم الضرر، عجزوا وقهروا، وهم أيضاً لا يعلمون من أحوال الرعيّة إلا ما طولعوا به، وأيضاً فهم لا يحسنون إلى الرعيّة إلا لرغبة، أو رهبة.

والله سبحانه بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، وهو أرحم الراحمين، فهو يعلم السرّ وأخفى، فلا يحتاج إلى من يعرِّفه بحاجته، بل هو يعلم حاجته، وهو وحده يدبر أمر السموات والأرض، ليس له ظهير، ولا وزير، ولا معين[1]، ولا مشير، قال تعالى: ﴿قُل ادعوا الذين زَعمتم من

---

(١) في الأصل: «ولا عون».

دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير﴾ [سبأ: ٢٢].

وقال تعالى: ﴿وقُل الحمدُ لله الذي لمْ يتخذ ولداً ولم يكنْ لهُ شريكٌ في المُلك ولم يكُن لهُ وليٌّ من الذل وكبرهُ تكبيراً﴾ [الإسراء: ١١١] فهو سبحانه لم يوال عباده من ذل ليعتز بهم، كما يوالي الملوك لأوليائهم. قال مجاهد: لم يذل فيحتاج[١] إلى ولي يتعزز به[٢].

٥٦/ بل هو سبحانه يوالي المؤمنين فضلاً منه/ ورحمة، وإحساناً، وهو سبحانه الصمد، الذي كل ما سواه فقير إليه، وهو غني عن كل ما سواه، وهو سبحانه أرحم الراحمين، وخير الحاكمين، وهو نعم الوكيل لمن توكل عليه، ونعم المولى، ونعم النصير.

وفي صحيح البخاري أن النبي ﷺ قال: «لله أرحم بعباده من الوالدة بولدها»[٣] فهو سبحانه رحمته وسعت كل شيء، فقد كتب على نفسه الرحمة، فهو أعلم بحال عبده من كل أحد، وهو أقدر على نفعه وأنفع من كل أحد، بل لا يقدر أحد إلا بإقداره، وهو أرحم به من كل أحد، وهذا بخلاف الملوك، وقد قال تعالى: ﴿وإذا سألكَ عبادي عني فإني قريبٌ أجيبُ دعوة الداعي إذا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وقد روي أن بعض الناس قالوا: يارسول الله، ربّنا قريب فنناجيه، أو بعيد فنناديه، فأنزل الله هذه الآية[٤].

---

(١) في الأصل: «يحتاج».

(٢) لم أجد هذا الأثر عن مجاهد وقد ورد عنه «لم يخف أحداً، ولم يبتغ نصر أحد»، انظر «الدر المنثور»: (٤/ ٢٠٨).

(٣) رواه البخاري بلفظ: «من هذه بولدها» في كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته: (٧/ ٧٥)، ومسلم في كتاب التوبة: (٤/ ٢١٠٩).

(٤) رواه ابن جرير والبغوي في معجمه وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه كما في =

وهو سبحانه سميع الدعاء، أي يجيب الدعاء، كما يقول المصلي في الصلاة: سمع الله لمن حمده، أي: استجاب الله دعاء من حمده، وقد ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قال: «إذا قال الإمام سمع الله لمن حمده، فقولوا: اللهم ربنا ولك الحمد، يسمع الله لكم»[1]، فإن الله قال على لسان نبيه: سمع الله لمن حمده.

ومنه قول الخليل عليه السلام: ﴿إنّ رَبِّي لسميعُ الدُّعاء﴾ [إبراهيم: ٣٩] وقوله تعالى: ﴿وإن اهتديتُ فبمَا يُوحي إلي ربي إنه سميعٌ قريبٌ﴾ [سبأ: ٥٠] وهذا كما في قوله: ﴿سماعون للكذب أكّالون للسحت﴾ [المائدة: ٤٢] وقوله: ﴿سماعون لقومٍ آخرين لم يأتوك﴾ [المائدة: ٤١] أي: يستجيبون لهم، وقابلون منهم، وكذلك ﴿سماعون للكذب﴾ أي: قابلوه، ومصدقوه، ولم يرد السمع المجرد، فإن المؤمن أيضاً يسمع الصدق والكذب، لكن لا يقبله، بخلاف من أكل السحت؛ فإنه يسمع الكذب، وهو كما يقال: فلان يسمع لفلان، ومن فلان، أي: يقبل منه قوله، ويطيعه.

فهو سبحانه لا يقاس به غيره، ولا يمثل به سواه، إذ ليس كمثله شيء، والمشركون ضربوا له أمثالاً من خلقه، فجعلوا لله ندًّا، ومثلاً، والقرآن مملوء من ذم هؤلاء، ولعنهم، وتكفيرهم، قال تعالى: ﴿والله جعلَ لكمْ من أنفسكم أزواجاً وجعلَ لكم من أزواجكم بنينَ وحفدةً ورزقكمْ

= «الدر المنثور»: (١/ ١٩٤)، وقد ضعف إسناده أحمد شاكر في تحقيقه لتفسير ابن جرير: (٣/ ٤٨١).

(١) رواه البخاري دون قوله: «يسمع لكم» في كتاب الأذان، باب فضل: اللهم ربنا لك الحمد: (١/ ١٩٣)، ورواه مسلم بنحوه وفيه «يسمع الله لكم» في كتاب الصلاة: (١/ ٣٠٤).

من الطيباتِ أفبـالباطلِ يؤمنون وبنعمةِ الله يكفـرونَ. ويعبدون مِنْ دونِ اللهِ مـا لا يملك لهـم رزقاً مـن السمـواتِ والأرضِ شيئاً ولا يستطيعـون .فـلا تضـربوا للـه الأمثال إن الله يعلمُ وأنتـم لا تعلمون﴾ [النحل: ٧٢ ــ ٧٤]

وقوله: رزقـاً شيئاً، قيل: هو مفعول المصـدر، وقيل: هو بدل منـه، وقد قال تعـالى: ﴿إن الله لا يغفـر أن يُشـرك بـهِ ويغفـر ما دون ذلـك لمن يشـاء﴾ [النساء: ٤٨].

/ ٥٧ وفي الصحيحيـن/ عن ابـن مسعـود قـال: قلت: يـارسـول الله: أي الذنب أعظم؟ قـال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقـك» قلت: ثم أي؟ قال: «ثم أن تقتـل ولدك خشيـة أن يطعم معك» قلـت: ثم أي؟ قـال: «ثم أن تزاني بحليلـة جارك»[1] وأنزل الله تصـديق ذلك: ﴿والذين لا يـدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون﴾ [الفرقان: ٦٨].

كان مشركو العرب مقرين بتوحيد الربوبية

والمشركـون، مشركـو العرب، لم يكونـوا يعتقدون أن المخلـوقات، كـالمـلائكـة، والأنبيـاء، والشمس، والقمـر، أو الكـواكـب، وتمـاثيلهم، شـاركت الـربّ في خلق العـالم، بـل كانـوا معتـرفين بأن الله خلـق ذلك وحده، كما أخبر الله عنهم في غير موضع، كقوله: ﴿ولئنْ سألتهمْ مَّنْ خلق السمواتِ والأرضَ وسخرَ الشمسَ والقمرَ ليقولنّ الله﴾ [العنكبوت: ٦١].

وقوله: ﴿قل لمن الأرضُ ومن فيهـا إنْ كنتم تعلمونَ سيقولونَ لله قُلْ أفـلا تـذكّـرون .قل مـن ربُّ السمـواتِ السبـع وربُّ العـرشِ العظيـم. سيقولـون لله قل أفلا تتقونَ .قل مـن بيدهِ ملكوتُ كل شيءٍ وهـو يجيرُ ولا يجارُ عليه إن كنتم تعلمون .سيقولـون لله قل فأنّى تُسْحَرُون﴾ [المؤمنون: ٨٤ـ٨٩].

---

(١) رواه البخـاري في كتـاب التوحيـد، بـاب قولـه الله تعـالى: ﴿فـلا تجعلوا لله أنـداداً﴾: (٨/ ٢٠٧)، ومسلم في كتاب الإيمان: (١/ ٩٠).

ومثل هذا في القرآن كثير، لكن كانـوا يتخذونهم شفعاء يتقربون بهم إلى الله، كما قال تعالى: ﴿ويعبـدونَ مِنْ دونِ اللهِ ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولونَ هؤلاء شُفَعاؤنا عند الله﴾ [يونس: ١٨] .

وقال تعالى: ﴿والذينَ اتخذوا مِنْ دونه أوليـاءَ ما نعبدُهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ [الزمر: ٣] .

وقال: ﴿ولقـدْ أهلكنا مـا حولكـم من القُرى وصـرَّفنا الآيـات لعلهم يرجعـون. فلولا نصـرهم الذين اتخـذوا من دون الله قربـاناً آلهة بـل ضلُّوا عنهم وذلك إفكهم وما كانوا يفترون﴾ [(١)] [الأحقَاف: ٢٧ ـ ٢٨] .

وقال صـاحب يس: ﴿وَما لـيَ لا أعبدُ الذي فَطَـرني وإليه تُـرجعون. أأتخذُ من دونه آلهـةً إنْ يردنِ الرحمنُ بضرٌّ لا تغن عنـي شفاعتُهم شيئاً ولا يُنقذون. إني إذاً لفي ضـلالٍ مبين . إني آمنتُ بربكم فـاسمعون﴾ [يس: ٢٢ ـ ٢٥]. وبسط هذا له موضع آخر.

أنواع الشرك

والمقصود هنا التنبيه على أن الشرك أنواع:

فنـوع منه يتخـذونهم شفعـاء يطلبـون منهم الشفـاعة والـدعـاء من الموتى والغائبين، ومن تماثيلهم.

ونوع يتقربون بهم إلى الله.

ونوع يحبونهم لا لشـيء، بل كما قال الله تعالى: ﴿أفـرأيت من اتخذ إلهُ هـواهُ﴾ [الجاثية: ٢٣] يهـوى أحدهـم شيئـاً فيتخذه إلهاً مـن غير أن يقصد منه نفعاً ولا ضراً، كمـا يحصل لأهل الغي هوى في أمور لا تنفعهم، والله سبحانه هو الـذي يستحق أن يُحَبَّ لذاته ويعبد لذاتـه دون ما سواه، وهؤلاء جعلـوا لله أنـداداً، كما قـال تعالى: ﴿ومـن الناسِ من يتخـذُ من

(١) في الأصل: «يذكرون» بدل «يرجعون» وهو خطأ.

دونِ اللهِ أنداداً يحبونهم كحبِّ اللهِ والذينَ آمنوا أشدُّ حبًّا لله﴾ [البقرة: ١٦٥].

/٥٨ وهذه الأنواع الثلاثة كانت في مشركي العرب وغيرهم،/ ممن يقر بأن الله خالق السموات والأرض، وأنهما محدثتان، ليستا قديمتين، وأما شرك القائلين بقدم العالم فهو نوع آخر:

شرك القائلين بقدم العالم

منهم من يعبد الكواكب، ويطلب منها، وتنزل عليه شياطين يقولون: إنها روحانية الكوكب، وهذا الشرك يقع من القائلين بأنها مخلوقة محدثة، ومن القائلين [بعدم][1] حدوثها.

وقوم آخرون يقولون: إنه بنفس توجههم إلى ما يدعونه ويحبونه يحصل مقصودهم، وإن كان ذلك المدعو لا يعرف أن هذا دعاه ولا توجه إليه، وهذا قول المتفلسفة كابن سينا، وصاحب الكتب المضنون[2] بها، ونحوهم، ويقولون: إذا توجه الإنسان إلى ما يتوجه إليه من أرواح الموتى فإنه يفيض عليه ما يفيض من غير علم من ذلك الشفيع، وشبهوا ذلك بشعاع الشمس، فإنه يظهر في المرآة، ثم ينعكس على ما يقابلها من حائط، أو ماء، من غير شعور من المرآة.

وذلك أن هؤلاء عندهم أن الله لا يعلم الجزئيات، ولا يحدث في العالم شيئاً، وعندهم تأثير دعاء بني آدم كله من هذا الباب، وهو أن الداعي إذا جمع همّه، وتوجه نحو ما يدعوه؛ قويت نفسه حتى حصل بها المطلوب من غير أن يكون الله علم بذلك، والمؤثر عندهم هو النفس، فالنفس الفلكية عندهم هي الحركة للفلك، وجميع الحوادث عنها،

---

(١) غير موجودة في الأصل وزدتها ليستقيم الكلام.

(٢) في الأصل: «المصنفون» ولعل الصواب ما أثبته، ويقصد شيخ الإسلام بذلك: أبا حامد الغزالي صاحب كتاب «المضنون به على غير أهله».

والنفس الإنسانية هي المؤثرة في خوارق الأنبياء، والسحرة، وغيرهم، وما يحصل بالدعاء، والشفاعة، هو عندهم من تأثير نفس الداعي المستشفع، لكن بتوجهها إلى ذلك حصل لها قوة، ثم قد يفيض عليها لما يفيض، إما من نفس المستشفع به، وإما من غيره.

ولهذا يأمر مثل هؤلاء أن يجمع الإنسان همّته على أي شيء كان، ويقولون: لو أحسن أحدكم ظنه بحجر لنفعه الله به، وقد يأمرون بالعشق ليجتمع قلب العاشق على شيء، وإن كان ذلك المعشوق لا ينفع، ولا يضر، وكذلك يعبدون ما لا ينفع، ولا يضر، فمقصودهم جمع الهمّة على شيء، حتى تثبت النفس، ويزول تفرقها، وتشتتها، وهذا كما يرصد أصحاب [البر أي][1] صورة من الصور مدة، وكذلك غيرهم من عبّاد الأصنام، فإذا اجتمعت الهمّة على ذلك الشيء، وتفرغ القلب لما يلقى فيه، تمكن منه الشيطان، فألقى في قلوبهم ما يلقيه، وتمثل لهم، وقضى بعض حوائجهم، والمتفلسفة الذين لا يعرفون الجنّ، يقولون: هذا كله من/ قوى النفس. إعانة الشياطين للمشركين /٥٩

ولكن جمهور الناس الذين قد عرفوا حقيقة الأمر، يعرفون أن الشياطين تفعل من ذلك ما لا تفعل النفس، وهؤلاء قد يذكرون الله، ومقصودهم بذكرهم جمع قلوبهم، وتفريغها لما يرد عليها، فليس مقصودهم عبادته تبارك وتعالى.

وهذا موجود في كثير من أهل زماننا، كما كان بعض الناس يقول لمريديه: توجه إلى قلبك وقل: لا إله إلا الله، وليس المقصود الذكر، إنما المقصود أن يجتمع قلبك، فإذا اجتمع قلبه تنزلت عليه الشياطين، فيخيل إليه أنه صعد إلى السماء، وألوان أخر، ويقول أحدهم: حصل لك ما لم يحصل لموسى بن عمران، ولا لمحمد ليلة المعراج، وشخص

(١) في الأصل «البرابي» ولم يظهر لي معناها.

آخر من كبارهم كان يقول: لا فرق بين قولك: يا حجر يا حجر، وبين قولك: يا حي ياقيوم، يعني أن المقصود بكليهما[1] جمع الهمّة، فهذا وأمثاله من أسرار هؤلاء المشركين.

ومن هؤلاء من يدعو بعض الكواكب، أو بعض الموتى من الأنبياء، والصالحين، أو بعض الملائكة، أو بعض الأوثان، فيرى صوراً، إما صورة بشر، وإما غير صورة بشر، فإنهم يرون أنواعاً من الصور تخاطبهم، وتقضي بعض حوائجهم، فيقولون: هذه روحانية الكوكب، أو سر الشيخ، أو رفيقته، أو نحو ذلك، وإنما ذلك شيطان يضلهم كما كانت الشياطين تضل عبّاد الأوثان، وإلى اليوم، وكانت الشياطين تكلمهم أحياناً من الأصنام، وأحياناً يرونها، قال ابن عباس رضي الله عنه: في كل صنم شيطان [يتراءى][2] للسدنة فيتكلمون[3]. وقال أبي بن كعب رضي الله عنه: مع كل صنم جنيّة[4].

وهذا باب واسع، وكل من كان به أعرف، إذا عرف ما جاءت به الرسل، وعرف ما في القرآن من التوحيد العظيم، والعناية العظيمة بذلك، ومذمة الشرك على اختلاف أنواعه؛ عرف بعض قدر ما جاء به الرسول ﷺ وتبين له كثرة الشرك في بني آدم، الذين لا يعرفون، بل يظنون أن العرب كانوا يعتقدون في آلهتهم أنها شاركت الله في الخلق، وهذا من غاية الجهل والكذب بمن يظنه بهم، وذلك لأن الشرك الذي كانوا فيه قد وقع هو وأمثاله في نوع منه، وهو لا يعرف أنه الشرك، يعتقد أن التوحيد هو الإقرار بأن الله خالق كل شيء، لم يشاركه في الخلق أحد، فهذا عنده

توحيد الربوبية هو غاية التوحيد عند المشركين

(١) في الأصل: «بكلاهما».
(٢) في الأصل: «يترايا».
(٣) ذكره السيوطي عن ابن عباس ولفظه «مع كل صنم شيطان» ونسبه لعبد بن حميد. انظر الدر المنثور للسيوطي ٢/ ٢٢٣.
(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده ٥/ ١٣٥.

غايـة التوحيـد، كما تجـد ذلك في كلام كثيـر من النـاس من متكلميهم، وعبّادهم، فإذا رأى هذا هو التوحيد؛ كان الشرك عنده ما يناقض ذلك.

/٦٠ وقد علم بالتواتر، وإجماع المسلمين، ونص القرآن: أن العرب كانوا مشركين، وأن النبـي ﷺ دعاهم إلى التوحيـد، ونهاهم عن الشـرك، وكان هذا من/ أعظم أسبـاب معاداتهم له، ولمن آمن به، فيظـن هذا الذي لم يعـرف حقيقة الأمـر، أن ذلك الشرك، أنهـم جعلوا آلهتهـم شركـاء لله في خلق السموات والأرض، وإنزال المطر، وخلق النبات، ونحو ذلك.

ولو كـان هذا يفهم القـرآن، ويعرف ما كـانت عليه العـرب، ويعرف التوحيـد، والشرك؛ لتبين لـه أن ما يقرُّبـه من التوحيـد كان المشـركون[1] يقرّون به أيضاً، وهم مع هذا مشركون؛ حيث أحبّوا غير الله كما يحبّون الله، وحيث دعـوا غير الله، وجعلوه شفيعـاً لهم، وحيث عبـدوا غير الله يتقـربون بعبادته إلـى الله، فهذا وأمثاله كـان شركهم، مع إقرارهم بـأن الله خالق كل شيء، وأنه لا خالـق غيره، ولهذا قال عمر بن الخطـاب: إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية.

فمعرفـة المسلم بدين الجاهليـة هو مما يعـرفه بدين الإسـلام، الذي بعث الله بـه رسلـه، وأنـزل بـه كتبـه، ويعـرف الفـرق بين ديـن المسلمين الحنفاء أهل التوحيد والإخـلاص، أتباع الأنبياء، ودين[2] غيرهم، ومن لم يميز بين هذا وهذا فهو في[3] جاهلية، وضلال، وشرك، وجهل، ولهذا ينكر هؤلاء ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، من [إخلاص][4] الدين لله، إذ ليست لهم بـه خبرة مـن جهة النقل، ولا لهـم فهم في القـرآن، يعرفـون به

---

(١) في الأصل: «المشركين».
(٢) في الأصل: «ومن».
(٣) في الأصل: «من» ولعل الصواب ما أثبته.
(٤) ما بين المعقوفتين زدتها ليستقيم الكلام.

توحيد القرآن، ولا لهم معرفة بحقيقة الإيمان والتوحيد الذي أرسل الله به رسله، وأنزل به كتبه، فليس لهم علم لا بالقرآن، ولا بالإيمان، ولا بأحوال الناس، وما نقل من أخبارهم، ومعرفة هذا من أهم الأمور، وأنفعها، وأوجبها، وهذه جملة لها بسط، مضمونها: معرفة ما بعث الله به الرسول، وما جاء به الكتاب والسنة.

عاقبة المشركين عاقبة سوء

وهؤلاء المشركون على اختلاف أصنافهم، كلّهم عاقبتهم عاقبة سوء في الدنيا والآخرة، فإن الشياطين مقصودهم إضلالهم، وإغواؤهم، فيخونونهم أحوج ما يكونون إليهم، ويخبرونهم بأكاذيب كما يفعلون بالسحرة والكهان، ولهذا يقترنون بأهل الكذب، والفجور، قال تعالى: ﴿هل أنبّئكم على من تَنَزَّلُ الشياطينُ تنزّل على كل أفّاكٍ أثيم﴾ [الشعراء: ٢٢١ ـ ٢٢٢][1].

ودعواهم أن النفس هي المؤثرة، دعوى باطلة، فتضعف أنفسهم في آخر الأمر، ويتبين عجزها عن التأثير، وهم لم يعبدوا الله وحده، بل علقوا أنفسهم بغيره، و﴿مثلُ الذينَ اتخذُوا من دونِ اللهِ أولياءَ كَمَثَلِ العنكبوتِ اتخذتْ بيتاً وإن أوهنَ البيوتِ لبيتُ العنكبوتِ لو كانوا يعلمون. إن الله
/٦١ يعلمُ ما يدعونَ من دونه من شيء وهو العزيزُ الحكيم. وتلك الأمثالُ نَضْرِبها للناس وما يعقلُها إلا العالمون﴾ [العنكبوت: ٤١ ـ ٤٣] ﴿ومن يشركْ بالله فكأنّما خرَّ من السماءِ فتخطفهُ الطيرُ أو تهوي به الريحُ في مكانٍ سحيق﴾ [الحج: ٣١] ﴿واتخذوا من دونِ اللهِ آلهةً ليكُونوا لهم عِزًا. كَلاّ سيكفرونَ بعبادتهم ويكونونَ عليهم ضِدًّا﴾[2] [مريم: ٨١ ـ ٨٢].

وكل من كان أعظم علماً، وإيماناً؛ كان أقوم بالتوحيد، وأتبع

---

(١) في الأصل: «الشيطان».

(٢) في الأصل: «الرحمن» بدل «الله» وهو خطأ.

للسنة، وأبعد عن الشرك، والبدعة، فإن التوحيد، والسنة، هو الإسلام، وهو حقيقة: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، فالشهادة الأولى تحقيق التوحيد، والشهادة الثانية تحقيق الرسالة، التي توجب اتباع شريعته، وأن نعبد الله بما أمر به، وشرعه، دون ما نهى عنه، أو لم يشرعه، قال أبو العالية في قوله: ﴿فوربكَ لنسألنَّهم أجمعينَ عما كانوا يعملون﴾ [الحجر: ٩٢ ــ ٩٣] قال: هما خلتان يُسأل عنهما كل واحد: ماذا[١] كنتم تعبدون؟ وبماذا أجبتم الرسل[٢]؟ حقيقة الشهادتين

ولهذا كان الصحابة، والتابعون لهم بإحسان، قائمين بهاتين الشهادتين، لم نجد أحداً منهم يأمر بدعاء أهل القبور، ولا بالسفر إليهم، بل هم كما قال الله: ﴿قُل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين﴾ [الأنعام: ١٦٢].

والصلاة هي دعاء الله، دعاء عبادة، ودعاء مسألة، فإذا قُصد صاحب القبر، لأن يدعى، دعاء عبادة أو دعاء مسألة؛ فقد صارت الصلاة له، وإذا قصد السفر إليه؛ فقد جعل النسك له.

ولهم حديث مشهور بينهم سألني عنه غير واحدٍ من أعيان الشيوخ وكبراء الناس، فكانوا يعتمدون عليه، وهو قوله: «إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور»[٣] وقد بينتُ لمن سألني عنه مرة بعد مرة، أن هذا كذب منكر، ليس هو في شيء من كتب المسلمين المعتمدة في

---

(١) في الأصل: «الماذا».

(٢) رواه الطبري في تفسيره عن أبي العالية ولفظه: يسأل العباد كلهم عن خلتين يوم القيامة، عما كانوا يعبدون وعما أجابوا المرسلين. انظر: جامع البيان للطبري ١٧/ ١٥٠. وقد روي نحو هذا مرفوعاً. انظر «الدر المنثور»: (٤/ ١٠٦).

(٣) انظر الكلام على هذا الحديث في «اقتضاء الصراط المستقيم»: (٢/ ٦٧٧)، «مجموع الفتاوى»: (١١/ ٢٩٣).

الحديث، ولا ذكره أحدٌ من علماء الإسلام، ولا إمام من أئمة المسلمين، وإنما هذا الحديث من الأكاذيب التي وضعت ليقام[1] بها دين أهل الشرك، كما يقولون: لو أحسن أحدكم ظنه بحجر لنفعه الله به[2] وإنما يحسن الظن بالأحجار المشركون الذين قال الله فيهم: ﴿إنكم وما تعبدون من دونِ اللهِ حَصَبُ جهنم أنتم لها واردون﴾ [الأنبياء: ٩٨] وقال تعالى: ﴿قُوا أنفسَكُم وأهليكم ناراً وقودُها الناسُ والحجارة﴾ [التحريم: ٦].

فهؤلاء يجعلون ما يجعلونه من صلاتهم، ونسكهم، لغير الله رب العالمين، وإن كانوا أيضاً قد يصلون، وينسكون لله، فهم يشركون، كما يوجد كثير من الداخلين في الإسلام من يصلي الصلوات الخمس وعنده صنم يعبده، وطائفة من المنتسبين إلى العلم، والعبادة، يصلون الخمس مع المسلمين، ثم يصعد أحدهم فيدعو بعض الكواكب، إما عطارد، وإما الزهرة، وإما غيرهما.

(بعض من يصلون مع المسلمين يدعون الكواكب وغيرها)

وهؤلاء الضُّلَّال هم الذين إذا ذُكر النهي عن دعاء أهل القبور، والحج إليهم؛ تراهم[3] ينكرون، وقد يجعلون هذا قدحاً، وعيباً،/ وتنقصاً بالصالحين، وبالأنبياء، لكن ليس معهم حجة شرعية بالأمر بالسفر إلى هؤلاء، فيسكتون على غيظ، فإذا ذُكر هذا النهي عامًّا في حق النبي ﷺ وغيره من الأنبياء، وبيِّن أن السنة أن يسافر إلى مسجده للصلاة فيه، ويسلم عليه، وغيره ليس عنده مسجد يسافر إليه، فلهذا كان السفر إلى مدينته مأموراً به؛ أخذوا يصدّون، ويشنّعون، ويقولون: هذا سبّ للنبي

/ ٦٢

(١) في الأصل: «يقام».

(٢) انظر الكلام على هذا في «كشف الخفاء» (٢/ ١٥٢).

(٣) في الأصل: «يراهم».

ﷺ، وتنقص له، ويسعون في عقوبة من نهى عن ذلك، بما يمكنهم من قتل، وغيره، وليس معهم علم مأثور عن النبي ﷺ وأصحابه، ومن بعدهم من أئمة المسلمين، لا الأربعة ولا غيرهم، ولا إيمان بحقيقة ما جاء به الرسول، بل يعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطاناً، وما ليس لهم به علم، وما للظالمين من نصير.

وهم بين جاهل، أو متبع لهواه، أو جامع بين الأمرين، وكثير منهم ليس قصده تعظيم الرسول، بل تعظيم ما يدعو إليه من الشرك بشيوخه، وغير شيوخه، ولكن جعل الرسول عمدة له يحتج به في الظاهر، وهو في الباطن لا يوجب تصديق الرسول في كل ما أحبه، وطاعته في كل ما أوجب وأمر به، بل قد يوالي أعداءه ويُحَسِّنُ حالهم، مع ظهور مخالفتهم للرسول، وقد يُجَوِّزُ أن يكون للأولياء وغيرهم إلى الله طريق غير اتباع الرسول.

من الناس من يفضل متبوعه على الرسول ﷺ

وفيهم من يجعل متابعة الرسول للعامة، وأما الذين هم عنده خاصة فأولئك يأخذون عن الله بلا واسطة الرسول، فلا يحتاجون إليه، وفيهم من يصرّح بأن شيوخه، وطريقهم، أفضل من متابعة الرسول، ومنهم من كان يقول: إن أهل الصُّفَّة كانوا أفضل من الرسول، وإن الرسول كان يزورهم لبركتهم، وإنهم لم يأذنوا له، وقالوا له: اذهب إلى من أرسلت إليه، حتى اشتكى إلى ربه، فقال: اذهب إليهم بإذن، فلما أتى[1] قبلوه!

وكثير منهم يرى قتال الرسول، ويروون أن أهل الصفة قاتلوه لما انهزم أصحابه يوم أحد، أو يوم حنين، وأنهم تحيّزوا إلى الكفّار، فقال لهم: تدعوني، وتذهبون؟! فقالوا: نحن مع الله، من كان الله معه كنّا معه!

---

(١) الكلمة غير واضحة وهكذا استظهرتها. وانظر: «مجموع الفتاوى» (١١/ ٧١).

إلى أمثال هذه الكفريّات، وأمثالها.

وكل ما ذكـرته فقد شافهني بـه غير واحد من هـؤلاء، منهم من كان يعتقده، ومنهم من أخبربـه عن شيوخه، حتى إنه كان مـن أعيان شيوخهم من سألني مّـرة عن هذا، فقلت لـه: هذا كفر، لـم يكن أحد من الصحـابة يقـاتل النبي ﷺ، بـل كان المتخلـف عن الجهاد المتعيـن مذمـومـاً، بل
/ ٦٣ منافقـاً، كالذين تخلفـوا عن غزوة تبوك، فقـال لي/ : فقد يكـون جائزاً في بعض المذاهب الأربعة، وأنت لم تعرفها كلها. فقلت له: ويحك! هذا لا يتعلق بالمذاهب، بل هذا يعرفه كـل من يعرف الرسول وأصحابه من أهل المذاهـب الأربعة، وسائر المسلمين عنـدهم أن من قال هـذا فإنه كـافر، يستتاب، فإن تاب و إلا قتل.

ومن هـؤلاء من يكـون متفلسفـاً، معظماً فـي الباطـن لمن يخـالف الأنبياء من الفلاسفة، ويكون على رأي المـلاحدة الباطنية، يعاونهم تارة، ويعاون الكفـار والمشركين المظهـرين للشرك تـارة، فهو عـون للكفار، أو المنافقين.

وهؤلاء قد يفضلون زيارة القبـور، والاستشفاع بهم، على الحج؛ لأنه عندهم إذا زار القبـر، وتوجه إلى الميت، فـاض عليه من روحه كمـا ذكروا
سوء اعتقاد المشركين بالله ذلك في الشفاعة، وأما الحـج فعندهم أن الله لا يسمع دعاء الحجاج، ولا يعلم بأشخـاصهم، وجزئيـاتهم، إذا كـان يعلم الكليات دون الجـزئيات، ومنهم من يقول: إنه لا يقوم به علم لا بـالكليات ولا بالجزئيات، بل العلم عنده نفس المعلومات.

وهؤلاء يعتقـدون في الشـريعة أنهـا سياسـة للعامـة، وأن ما أخبـر به الرسول من أنبـاء الغيب عن الله، وعن اليوم الآخر، فإنمـا هو تخييل قصد به نفع العامة، مـن غير أن يكون ذلك مطابقاً للأمر، وهـؤلاء عندهم أنه لا

يستفـاد من خبـر الله ورسـولـه عن الغيـب علم، وهـؤلاء بـاطنيـة الشيعـة الإماميـة، وأولئك أيضاً لهـم غلو في أهل المقـابر، والصـلاة لهم، والحج إليهم، ويتظاهـرون بأن الحج إلى مشهد علي، أو غيره، هـو الحج الأكبر، وينادون علانية إذا سافروا إلى هذه الزيارة: إلى الحج الأكبر.

وهؤلاء وأمثالهم كما وصف الله المشـركين، وأشباههم، يجعلون قبر النبي ﷺ: تـرساً، ويطلقـون القول بـه مجملاً، ولا يختـارون التفصيل بين الـزيارة الشـرعية، والبـدعية؛ فإنـه بـالتفصيل يظهر ضـلالهم، وشـركهم، وكذبهم، فيظهـرون ألفاظاً مجملـة، وينكرون التفصيل الفارق بين الـزيارة الشرعية، والبـدعية، ولكن يكذبون فيمـا يضيفونه إلى الناهي عـن الزيارة البـدعية، فيضيفـون إليه أنـه منهي مطلقـاً عن هـذا الجنس، حتى يـروج بـذلك تلبيسهم، وهـذا من مشابهـة أهل الكتـاب، قال تعـالى: ﴿يَـابني إسرائيل اذكروا نعمتيَ التي أنعمتُ عليكـم وأوفوا بعهدي أوفِ بعهدكم﴾ إلى قـولـه: ﴿ولا تَلْبِسوا الحـقَّ بالبـاطلِ وتكتمـوا الحق وأنتم تعلمـون﴾ [البقرة: ٤٠ ــ ٤٢] وقال تعالى: ﴿يـا أهلَ الكتاب لِمَ تكفرونَ بـآياتِ الله وأنتم تشهدُون. يا أهلَ الكتابِ لم تَلْبِسـونَ الحقَّ بالباطلِ وتكتمونَ الحق وأنتم تعلمون﴾ [آل عمران: ٧٠ ـ ٧١]/ . / ٦٤

المتصرون للبدع أقل الناس تعظيماً لله ورسوله

ومن استقرأ أحـوال الناس رأى أن عامـة من ينتصر للبدع مظهـراً أنه ينصر الـرسول، هو بـالعكس، ليس له في نصـر الله، ورسوله، والجهـاد في سبيلـه، سعي مشكـور، ولا مقام مـذكـور، بل هـم معرضـون عن الجهـاد المأمور بـه، وعن نصر كتاب الله، ودينـه، ورسوله، وكثير منهم هـو محاد لله ورسوله، يكذب بما أخبر به الرسول، وينفي ما أثبته، ويثبت ما نفاه، ويأمر بما نهى عنه، وينهى عما أمر به.

وكثير منهـم، أو أكثرهم، يفعـل ذلك ضلالاً، وجهـلاً، وظنّاً أنـه على الحق، كمن يرى أن المتفلسفـة هم الذين حققوا العلم الإلهي بـالبرهان، وأن ما جـاء به الرسـول إنما هو تخييـل لنفع العامـة، أو يرى أن ما يقـوله النفـاة والجهمية مـن نفي الصفـات، هـو الحق الـذي تقـوم عليه الأدلـة العقلية، بخـلاف ما دل عليه الكتاب والسنـة، فإنه ليس فيـه الحق الذي تقوم عليه الأدلـة العقلية، ثم قد يقولـون: إن الرسول قصد بـه معاني، ولم يقصد به ما[1] دلت عليه، ولم يقصد بهذا الخطـاب البيان للناس، وإنما قصد أنهم إذا رأوه مخالفـاً للعقل عرفوا الله بطريق العقـل، ثم استخرجوا لهذا الخطـاب أنواع التأويـلات، وقد يقولـون: إن الرسول لـم يكن يعلم معاني ما أنـزل عليه، وما خاطب به الخلق من القـرآن، والحديث، الذي ذكر فيه هذه الصفات.

وكمـن يـرى أن الشيـوخ الـذيـن[2] يعظمهـم هـو، ويجعلهم أهـل المعرفة، والتحقيق، وأعلى أولياء الله، وصـل إليهم من جهة الله بلا واسطة ما لا يصل إلى الرسول، فمعرفة مقـاصدهم، وعلومهم، هي أفضل عندهم من معرفة معاني الكتاب، والسنة.

وفيهم طـوائف يستحلون الفواحـش، وقتل النفوس التي تخـالفهم، والشرك بـالله، إلى أمثـال هذه الأمـور، وأصحابهـا يظنون أنهم علـى حق، كالنصارى، وأمثـالهم من أهل الضلال، قال تعالى: ﴿وإذا فعلـوا فاحشةً قالوا وَجَدْنا عليهـا آباءنا واللهُ أمَرَنا بها قل إنَّ اللهَ لا يأمرُ بـالفحشاءِ أتقولونَ على اللهِ مـا لا تعلمون. قل أمـر ربي بـالقسط وأقيموا وجـوهكم عنـدَ كُلِّ مسجدٍ وادعوهُ مخلصينَ له الدينَ كما بَـدَأكُم تعودون. فريقاً هَدَى وفريقاً

---

(١) في الأصل: «غير ما دلت عليه».

(٢) في الأصل: «الذي».

حَقَّ عليهمُ الضلالةُ إنهم اتخـذوا الشياطينَ أولياءَ مِنْ دونِ اللهِ ويحسبونَ أنهم مهتدون﴾ [الأعراف: ٢٨ ـ ٣٠].

وقال تعـالى: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عن ذكرِ الـرحمنِ﴾ أي: عن الذكـر الذي أنزله، وهو القـرآن ﴿نُقَيِّضْ له شيطاناً فهو له قـرين. وإنهم ليَصُدُّونهم عن السبيل ويحسبونَ أنهم مهتـدون. حتى إذا جاءنا قال يـا ليتَ بيني وبينك بُعْـدَ المشـرقينِ فبئس القـرين. ولـن ينفعكم اليـومَ إذْ ظلمتـمْ أنكم فـي العذاب مُشتركون﴾ [الزخرف: ٣٦ ـ ٣٩].

ومن هؤلاء من يعظّم متبـوعه عن أن يكون مطيعاً للرسـول، متبعاً له، ويعظّم بعض المخلوقيـن/ من نبي، أو غيره، أن يكون عبـداً لله، فإذا ذكر / ٦٥
عن المخلـوق مـا يستحقه من العبـوديـة قالـوا: هـذا شتمه، كمـا تقولـه النصارى لمن قـال: إن المسيح عبد[1]، يقولون: هـذا قد سب المسيح، وتنقصه، وشتمه.

وقـد ذكر أهـل التفسير أن وفـد نجـران قالـوا للنبي ﷺ: أنـت بعثت بشتم المسيح، تقول: هو عبدالله، وليـس بعبد. فقال النبي ﷺ: «إنه ليس بعار بعيسى أن يكون عبداً لله»، فأنزل الله تعالى: ﴿يا أهلَ الكتابِ لا تَغْلُوا في دينكـم ولا تقولُـوا علـى الله إلا الحقَّ إنَّمـا المسيحُ عيسى ابـنُ مـريمَ رسولُ اللهِ وكلمته ألقـاها إلى مريمَ وروحٌ منـه فآمنوا بالله ورسلـه ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرًا لكم إنما الله إلهٌ واحدٌ سبحـانهُ أن يكون له ولدٌ، له ما في السمواتِ ومـا في الأرضِ وكفى بالله وكيـلاً . لن يستنكفَ المسيح﴾ أي: لم يأنـف ولن يتعاظـم ﴿أن يكون عبـداً لله ولا الملائكـةُ المُقَرَّبـون ومن يستنكفْ عن عبـادته ويستكبرْ فسيحشرُهـم إليـه جميعاً. فأما الـذين آمنوا

(١) في الأصل: «عبداً».

وعَملوا الصالحاتِ فَيُوَفِّيهم أجورَهم ويزيدُهم من فضله وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبُهم عذاباً أليماً ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً﴾ [النساء: ١٧١ ـ ١٧٣].

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، فإنما أنا عبد، فقولوا عبد الله ورسوله» وقال أيضاً: «إياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين»(١).

وقد نهى سبحانه وتعالى عن الغلو، في سورة النساء، والمائدة، وقد أخبر في الحديث الصحيح أنه سيكون في أمته من يشبه اليهود والنصارى، وقال: «لتأخذن أمتي مآخذ الأمم قبلها، شبراً بشبر، وذراعاً بذراع» قيل: يا رسول الله، فارس والروم؟ قال: «ومن الناس إلا هؤلاء؟»(٢).

وقال أيضاً: «لتسلكن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه» قالوا: يارسول الله : اليهود والنصارى؟ قال: «فمن؟» وكلا الحديثين في الصحيحين.

الغلاة في هذه الأمة يشبهون النصارى

فالغلاة في هذه الأمة يشبهون النصارى، كالغلاة في بعض أهل البيت، ومن يدعي أنه من أهل البيت، كالإسماعيلية، وكالغلاة في بعض المشايخ، فهؤلاء، وهؤلاء ، فيهم شبه بالنصارى، يجعلون قول الحق والعدل الذي دلّ عليه الكتاب والسنة فيمن يغلون فيه: سبًّا، وشتماً،

---

(١) رواه النسائي في كتاب المناسك، باب التقاط الحصى: (٥/ ٢٦٨)، وابن ماجه في كتاب المناسك، باب قدر حصى الرمي: (٢/ ١٠٠٨)، وأحمد: (١/ ٢١٥)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه: (٢/ ١٧٧).

(٢) رواه البخاري بنحوه في كتاب الاعتصام بالسنة، باب قول النبي ﷺ: «لتتبعن سنن من كان قبلكم»: (٨/ ١٥١).

وتنقّصاً، كالنصارى، وبسط هذه الأمور له مواضع أُخر، وإنما المقصود التنبيه على [هذه][1] الجمل ليعرف/ الإنسان الفرق بين ما جاء به الرسول، وبين ما يشبه به وليس منه، فيعرف شريعة الرسول التي قال الله فيها: ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولاتتبع أهواء الذين لا يعلمون. إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين﴾ [الجاثية: ١٨ ـ ١٩]. /٦٦

فأمة محمدﷺ ــ ولله الحمد والمنة ـ لا تجتمع على ضلالة، بل لا يزال فيهم من هو قائم بالحق إلى أن تقوم الساعة، فلهذا لايزال في أمته من يفرق بين الطريق الشرعية، والبدعية، ويميز ما جاء به الرسول مما قاله غيره، فإذا طلب المسلم أن يتبع الرسول أمكنه ذلك؛ لوجود من يعرف هذا من الأمة، بخلاف النصارى، وأهل البدع، فإن النصارى لما كثرت فيهم البدع، واشتهرت، وقل العلم فيهم، صار يتعذر ـ أو يتعسر ـ عليهم الفرق بين ما أمر به المسيح، وبين ما أمر به غيره، بل هذا خلط بهذا، وصار بأيديهم كتب فيها هذا المختلط الذي لبس فيه الحق بالباطل.

وهكذا أهل البدع كالذين يوجبون اتباع غير الرسول ﷺ من شيخ، أو إمام، أو غير ذلك، تجد عندهم أموراً منقولة عن شيخهم، أو إمامهم، أو عن علي رضي الله عنه، أو غيره، وفيها حق وباطل، ولا يمكنهم التمييز بين[2] حقها وباطلها، وتجدهم يروون أحاديث عن النبي ﷺ لا يعرفون صدقها من كذبها.

أهل البدع لايميزون بين الحديث الصحيح وغير الصحيح

وهكذا عامة أهل البدع، لا يميزون بين الحديث الصحيح وغير الصحيح، لكن ما وافق آراءهم وأهواءهم كان هو الحق عندهم، وإن كان

---

(١) غير موجود في الأصل.

(٢) في الأصل: «من».

راويه قد اختلقه على الرسول، وما خالف ذلك دفعوه.

بخلاف أهل السنة، وعلماء الأمة، الذين يقصدون متابعة الرسول، والاستنان بسنته، والعمل بشريعته، وتحقيق ما جاء به من حقائق الإيمان، التي أصلها في القلوب وفروعها ونتائجها على الجوارح، فإن هؤلاء يميزون بين ما قاله الرسول وقاله غيره، وما نقل عن الرسول فيميزون بين الصدق منه والكذب، والصحيح والضعيف، ويعتبرون أحوال سلف الأمة وأئمتها، ثم لهم فقه وفهم لما جاء به الرسول، يختصون به عن غيرهم، ولهم أحوال وأعمال امتازوا بها عن غيرهم.

فهؤلاء الذين قال الله فيهم: ﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخِرِ يوادُّون مَنْ حادَّ الله ورسولَه ولو كانوا آباءَهم أو أبناءَهم أو إخوانَهم أو عشيرتَهم أولئكَ كتبَ في قلوبهم الإيمانَ وأيدهمْ بروحٍ منه ويدخلُهم جنات تجري مِنْ تحتها الأنهارُ خالدين فيها رضيَ اللهُ عنهم ورَضُوا عنه أولئك حزبُ الله ألا إنَّ حزبَ الله هم المفلحون﴾ [المجادلة: ٢٢].

٦٧/ وقال تعالى: ﴿من يرتدَّ منكم عن دينه فسوفَ يأتي اللهُ بقومٍ يحبُّهم ويحبُّونه أذلة على المؤمنينَ أعزةٍ على الكافرينَ يجاهدُون في سبيلِ اللهِ ولا يخافونَ لومةَ لائم ذلكَ فضلُ اللهِ يؤتيه مَنْ يشاءُ واللهُ واسعٌ عليم﴾ [المائدة: ٥٤].

أهل البدع يحتجون بالحكايات

وقد يحتجون بحكايات عن بعض المتقدمين فيها ما هو كذب على المنقول عنه، مثل حكاية يروونها عن الشافعي أنه قال: إذا كانت لي إلى الله حاجة ذهبت إلى قبر أبي حنيفة، وسألت به، أو نحو هذا[1]، والشافعي

---

(١) قال شيخ الإسلام في كلامه على هذه الحكاية، في موطن آخر: «وإنما يضع مثل هذه الحكايات من يقل علمه ودينه» وقال: «ونحن لو روي لنا مثل هذه الحكايات المسيبة أحاديث عمن لا ينطق عن الهوى؛ لما جاز التمسك بها حتى تثبت، فكيف =

رضي الله عنه هو ممن حذر الشرك بـالقبور، ونهى عن البناء عليها، وحذر مما حـذر منه النَّبيُّ ﷺ من الفتنـة بها، وقد ذكـر ذلك أصحابه، حتـى أبو إسحاق[1] في تهذيبه، وغيره، والشافعـي رضي الله عنه لم يكن يقصد قبر أحد من الأنبياء والصَّحابة ليدعـوه، ويسأل الله به، فكيف خص بذلك أبا حنيفـة؟ ولم يكن علـى عهد الشـافعـي لما أتـى بغداد قبـر[2] يُزار هـذه الزيارة، ولا كان بها مشهد البتة، وكـذلك كان بعد موت الشافعي في تمام عمر الإمام أحمـد رضي الله عنه، لم يكن ببغداد مشهد ظاهـر، ولا قبر يُزار للدعاء به ولا للدعـاء عنده، لا قبر معروف[3]، ولا موسى بن جعفر[4]، ولا غيـرهما، بـل هذه كلهـا حـدثت بعـد ذلك، لاسيمـا لمـا تغيرت أحـوال الإسلام في المائة الرابعة.

والحكايـة التي تـروى عن بعضهم أنـه قال: (قبـر معروف، التـرياق المجرب). إن كـانت صحيحة عمـن نقلت عنه فإنـه إنما قال ذلـك بعد

= بالمنقول عن غيره؟». «اقتضاء الصراط المستقيم»: (٢/ ٦٨٦).

(١) إبراهيم بـن علي بن يوسف الشيـرازي، الشافعي، أبو إسحـاق، من أكابر العلمـاء، كان حسن المجـالسة، طلق الوجـه، فصيحاً، مناظـراً، توفي سنـة ٤٧٦هـ. انظر ترجمته في «طبقات الشافعية»: (٤/ ٢١٥ ـ ٢٥٦)، «وفيات الأعيان»: (١/ ٩ ـ ١٢)، «الأعلام»: (١/ ٤٤ ـ ٤٥).

(٢) في الأصل: «قبراً».

(٣) معروف بن فيـروز الكرخي، من العباد الـزهاد، وله حكـايات كثيرة في ذلك، تـوفي سنة ٢٠٠هـ. انظـر ترجمته في «طبقـات الحنابلة»: (١/ ٣٨١ ـ ٣٨٩)، «وفيـات الأعيان»: (٤/ ٣١٩ ـ ٣٢٠).

(٤) مـوسى بن جعفـر بن محمد بـن علي بن الحسيـن بن علي بن أبـي طالب، المعـروف بالكـاظم. قال أبو حـاتم عنه: ثقة، صـدوق، إمام من أئمة المسلمين، وكـان ذا عبادة، تـوفي سنـة ١٨٣هـ. انظـر ترجمتـه فـي «تهـذيب التهـذيب»: (١٠/ ٣٣٩ ـ ٣٤٠)، «الخلاصة»: ص ٣٩٠.

موت الإمام أحمد لا في حياته، ولو كان من القبور ما هو ترياق مجرب؛ لكانت قبور المهاجرين، والأنصار، والخلفاء الراشدين، والأنبياء، أولى بذلك من قبر معروف وأمثاله.

٦٨/ / وكثير من هؤلاء، بل أكثرهم، ليس اعتمادهم فيما هم عليه من الشرك والبدعة على الكتاب، والسنة، وإجماع سلف الأمة، بل على ما يرونه ويسمعونه من الخوارق، وبعضها صدق، وبعضها كذب، وبعضها يكون خيالاً في أنفسهم، وبعضها يكون موجوداً في الخارج، كما كان يحصل للمشركين، منهم من يسمع كلاماً وخطاباً عند من يشرك به، إما الصنم، وإما القبر، وإما التمثال، ومنهم من يرى صورة إنسان أو غير إنسان، ومنهم من يخبر ببعض الأمور الغائبة، ومنهم من يعطى بعض أغراضه، فيؤتى ببعض ما يشتهيه من الصور، أو المال، أو يقتل بعض من يعاديه، وهذه الأمور هي من الشياطين، وهي من جنس السحر، والكهانة، فيظن كثير منهم أن هذا من باب الكرامات.

عانة الشياطين لأهل البدع والشرك

وكثير منهم يعتقد أن في الإنس قوماً صالحين أولياء لله لا يزالون غائبين عن أبصار الخلق يسميهم: رجال الغيب، ورجال الغيب هم الجن، كما قال تعالى: ﴿وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً﴾ [الجن: ٦] كانت الإنس تستعيذ بالجن، فازدادت الجن طغياناً وكفراً، وقالوا: قد عبدتنا الإنس، واحتاجت إلينا.

والتعازيم والأقسام التي فيها شرك هي من هذا الباب، لكن من هذه الأمور ما قد عرفت العامة أنه من الجن، ومنها ما قد اشتبه، مثل ما يرى عند قبور الأنبياء، والصالحين، من شفاء مريض، أو حصول طعام من الغيب، ونحو ذلك، فيظن أنه معجزة أو كرامة، لأجل عكوفه، ودعائه لصاحب القبر.

معجزات الأنبياء لايمكن أن يؤتى بمثلها

فيقال لهذا: معجزات الأنبياء مختصة بهم وبمن اتبعهم من المؤمنين، لا يجوز أن يكون لمن كفر بهم من المعجزات مثل ما لهم، فإن معجزاتهم هي آيات نبوتهم، وبرهان رسالتهم، والدليل يجب أن يكون مختصًّا[1] بالمدلول عليه، فلو كان لمن كذبهم مثل ما لهم لم يكن ذلك دليلاً، ولهذا طلب أعداؤهم أن يعارضوهم فيأتوا بمثل ما أتوا به، كما فعلت السحرة بموسى، وكما قصد بعض الناس أن يعارض القرآن،ولو أتوا بمثل ما أتت به الأنبياء لانتصروا.

فلو أن السحرة أتوا بمثل ما أتى به موسى لم يكن موسى قد جاء بآية، بل من تمام آيات الأنبياء أن المكذبين لهم لا يقدرون على مثلها، ولهذا لما ظهر للسحرة أن ما أتى به موسى لا يمكنهم أن يأتوا بمثله، وليس من جنس السحر؛ آمنوا به، وقالوا: ﴿ آمنَّا بربِّ العالمين. ربِّ موسى وهارون﴾ [الشعراء: ٤٧ ـ ٤٨] وقالوا لفرعون: ﴿لن نؤثِرَكَ على ما جاءنا من البيناتِ والذي فطرنا فاقضِ ما أنت قاضٍ إنما تقضي هذه الحياة الدنيا. إنا آمنَّا بربنا ليغفرَ لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه مِنَ السحرِ والله خيرٌ وأبقى﴾ [طه: ٧٢ ـ ٧٣].

ولهذا / تحدى الرسول المكذبين أن يأتوا بمثل هذا القرآن، تحداهم بمثله، ثم بعشر سور، ثم بسورة، وقال: ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾ [الإسراء: ٨٨] وقد بسط الكلام على هذا في مواضع. /٦٩

فإن الكلام في المعجزات، وخصائصها، والفرق بينها وبين غيرها،

---

(١) في الأصل: «مختص».

من أشرف العلوم، وأكثر أهل الكلام خلطوا فيه تخليطاً ليس هذا موضعه.

والمقصود هنا أن ما كان من المعجزات والكرامات يكون مختصاً بالأنبياء وأتباعهم المؤمنين، ولهذا لم يكن ما يأتي به الساحر والكاهن من المعجزات والكرامات، فإن هذا يكون للكفار، وما يوجد للمشركين بالقبور وغيرها هو من هذا النوع المشترك، فالكفار من المشركين والنصارى يستغيثون بشيوخهم الموتى، والغائبين، ويرون من أتاهم في الهواء راكباً، أو غير راكب، وقال: إنه المستغاث به، إما جرجس، وإما غيره، حتى قالوا لبعض علماء النصارى: فهذا جرجس يستغيث به جماعة في وقت واحد، وكل منهم يراه، فقال: ذلك ملك يأتي في صورته، فكثير من المنتسبين إلى الإسلام يستغيث بشيخه، ويرى من جاء راكباً، أو طائراً في الهواء، أو غير ذلك؛ فيظنه هذا شيخه. وقد يأتي في صورته إن كان يعرف صورة شيخه فيظن هذا شيخه.

تصور الشيطان صورة شيخ الإسلام ليضر بعض الناس

وهذا قد وقع لخلق كثير، ووقع لغير واحد من أصحابنا معي، لكن لما حكوا لي أنهم رأوني بينت لهم أني لم أكن إياه، وإنما كان شيطاناً تصور في صورتي ليضلهم، فسألوني: لم لا يكون ملكاً؟ قلت: لأن الملائكة لا تجيب المشركين، وأنت استغثت بي فأشركت.

والشيوخ الذين لا علم لهم، منهم من يخيل له الشيطان صوت المستغيث به، ويجيبه، فيخيل الشيطان للمستغيث صوت الشيخ، ويوهم كلاً منهما أنه سمع صوت الآخر.

سماع المؤمن للصوت البعيد

والمؤمن إذا نادى غيره وهو في مكان بعيد لمصلحة ـ كما قال عمر: ياسارية[1] الجبل، قال عمر: فإن لله جنداً تبلغهم صوتي ـ فلله جند من

(١) سارية بن زنيم بن عبدالله بن جابر، له صحبة، وكان فارساً شجاعاً وقد ولاه عمر ناحية فارس، وهذه المحادثة وقعت لما سيَّر عمر بن الخطاب سارية إلى فارس سنة ثلاث =

أنصار المؤمنين تبلغهم صوت المؤمنين، وكذلك كان عمر قد أرسل جيشاً فجاء البشير بالفتح، وشاع الخبر في الناس، فسألهم عمر: من أين لكم هذا؟ فقالوا: رأينا راكباً أخبر بذلك. فقال: هذا أبوالهيثم من الجن، بريد المؤمنين، وسيأتي بريد الإنس، فأتاهم بريد الإنس بعد أيام.

فهؤلاء الجنّ كانوا مؤمنين مجاهدين في سبيل الله، والجن كالإنس: فيهم المسلم، والكافر، والكتابي، والمشرك، كما قال تعالى: ﴿وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك كُنا طرائق قِدَاداً﴾ [الجن: ١١].

فمن أعان منهم مشركاً، أو أعان على الشرك؛ كان كافراً، لم يكن مؤمناً، وهم شياطين الجن الذين يضلون الإنس، والشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، كما أخبر بذلك النبي ﷺ(١).

ولهذا يَقْتُلُ الساحر بسحره، وإنما يَقْتُلُ بتوسط الجن، وكذلك أيضاً قد يحصل الشفاء بنوع من أفعالهم فيأتون إلى من يدعوه الكفار في صورة، أو قبر، أو نحو ذلك، فيفعلون ما يحصل به زوال ذلك المرض، حتى يظن ذلك الضال أنه ببركة مشركه، وهو من إضلال الشياطين، إضلال الشياطين لبني آدم

= وعشرين، فوقع في خاطر عمر وهو يخطب يوم الجمعة أن الجيش المذكور لاقى العدو، وهم في بطن واد، وقد همّوا بالهزيمة، وبالقرب منهم جبل، فقال في أثناء خطبته: ياسارية الجبل، الجبل، ورفع صوته، فألقاه الله في سمع سارية، فانحاز بالناس إلى الجبل، وقاتلوا العدو من جانب واحد ففتح الله عليهم. وقد أخرج هذه القصة الواقدي والبيهقي في «الدلائل» واللالكائي في «شرح السنة»، وحسن الحافظ ابن حجر إسنادها. انظر «الإصابة»: (٢/ ٣).

(١) في الحديث «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم» رواه البخاري في كتاب الأحكام، باب الشهادة تكون عند الحاكم.. (٨/ ١١٤)، ومسلم في كتاب السلام: (٤/ ١٧١٢).

[و][1] كما يوجد لدعاة القبور، والمشركين، والحجاج إليها، من هذا النوع، يوجد أكثر منه للنصارى، والمشركين، نعلم أن هذا ليس من باب
/ ٧٠ المعجزات، والكرامات، ومن المستفيض/ في بلاد الهند أن الميت يأتي بعد موته، فيحدثهم، ويرد ودائع، ويقضي ديوناً، ثم يذهب، وهو شيطان جاء في صورته.

والشيطان يضل كثيراً من الناس بمثل هذا، حتى إنه يقول لقرينه: أنت بعد الموت تغسل نفسك، أو: أنت تغيث من يأتي إلى قبرك، فيقول الشيخ لأصحابه: لا يغسلني أحد، أنا أغسل نفسي، ويرون بعد الموت أنه قد جاء في صورته وغسل نفسه، فيظنون أنه هو، وإنما هو شيطان جاء في صورته، وكذلك قد يجيئون إلى قبره، فيجدون دراهم، أو غير ذلك، فيظنونه منه، وإنما هو من الشيطان.

وهذا باب واسع قد بسط في مواضع، ومن لم يفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان فما عرف حقيقة الإيمان، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور.

أنفع ما للإنسان الاعتصام بالكتاب والسنة

وأنفع ما للإنسان: الاعتصام بالكتاب والسنة، فإن السنة مثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق، ثم إن رزقه الله بصيرة، وكشف له الحقائق؛ يتبين له ببصائر الإيمان وحقائقه ما يصدق الشريعة الظاهرة، وأن الله هدى الخلق بمحمد ﷺ إلى الصراط المستقيم، وأخرجهم به من الظلمات إلى النور، وفرق به بين الهدى والضلال، والغي والرشاد، والحق والباطل، وطريق الجنة وطريق النّار، [و][2] بين أوليائه وأعدائه، فصلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً، وجزاه عنا أفضل

(١) غير موجود في الأصل.
(٢) غير موجود في الأصل.

ما جزى نبيّاً عمن أرسل إليهم.

وإن لم تنكشف له الحقائق الباطنة كفاه اعتصامه بالشريعة الظاهرة، وحصل له النجاة، ونال من السعادة بقدر ما اتبع فيه الرسول: ﴿قالت الأعرابُ آمنَّا قل لَمْ تؤمنوا ولكنْ قولوا أسْلَمنا ولمَّا يدخل الإيمانُ في قلوبكم وإن تطيعوا اللهَ ورسولَه لايَلِتْكُمْ من أعمالكم شيئاً إن الله غفورٌ رحيم. إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيلِ اللهِ أولئكَ هُمُ الصادقون﴾ [الحجرات: ١٤ ـ ١٥] والله أعلم[١].

□ □ □

(١) وإلى هنا انتهت المخطوطة وقد وجد في آخر الأصل كلام لم يظهر في التصوير وفيه: «نقلت.. على الشيخ.. زيادات بخطه.. ولله الحمد..». والحمد لله أولاً وآخراً وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

الفهـــــارس

فهرس الآيات القرآنية

فهـــرس الأحاديـــث

فهرس الآثار

فهرس المصادر والمراجع

١ ـ «الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان»/ علي بن بلبان الفارسي، تقديم وضبط: كمال يوسف الحوت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ دار الكتب العلمية، بيروت.

٢ ـ «إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل»/ محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ المكتب الإسلامي.

٣ ـ «الاستيعاب في أسماء الأصحاب»/ أبو عمر يوسف بن عبدالله بن عبدالبر، مطبوع بهامش «الإصابة في تمييز الصحابة»، الطبعة الأولى، ١٣٢٨هـ مطبعة السعادة بمصر.

٤ ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة/ أبو الحسن علي بن الأثير، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان.

٥ ـ «الإصابة في تمييز الصحابة»/ الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الطبعة الأولى، ١٣٢٨هـ مطبعة السعادة بمصر.

٦ ـ «الأعلام» قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمتعربين والمستشرقين/ خير الدين الزركلي، الطبعة الثالثة.

٧ ـ «إعلام الموقعين عن رب العالمين»/ ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، الطبعة الأولى ١٣٧٤هـ.

٨ ـ «اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم»/ شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، تحقيق: د. ناصر بن عبدالكريم العقل، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ الطابع شركة العبيكان.

٩ ـ «البداية والنهاية»/ أبو الفداء إسماعيل بن كثير، الطبعة الأولى

١٩٦٦م، مكتبة المعارف، بيروت.
١٠ ـ «البدع والنهي عنهـا»/ محمد بن وضاح القرطبي الأنـدلسي، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ، دار الرائد العربي، بيروت.
١١ ـ «التاريخ الكبير»/ أبو عبـدالله محمد بن إسماعيل البخاري، المكتبة الإسلامية بتركيا.
١٢ ـ تخـريج أحاديث إحيـاء علوم الـدين، استخراج أبي عبـدالله محمود الحداد. الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ـ دار العاصمة بالرياض.
١٣ ـ تفسير القرآن العظيم/ الحافظ أبـو الفداء إسماعيل بن كثير، دار إحياء التراث العربي ١٤١٥هـ.
١٤ ـ «ترتيـب المدارك وتقريب المسالـك لمعرفة أعلام مـذهب مالك»/ القاضـي عياض بن مـوسى بن عيـاض البستي، تحقيق: سعيـد أحمد أعـراب، طبع وزارة الأوقاف بالمملكة المغربية.
١٥ ـ تقريب التهذيب/ الحافظ ابـن حجر العسقلاني، تحقيق أبو الأشبال الباكستاني ، الناشر دار العاصمة ـ الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.
١٦ ـ «تلخيـص الحبير في تخـريج أحـاديث الرافعـي الكبير»/ أحمـد بن علي بن حجـر العسقلاني، تحقيـق: شعبان إسماعيل، النـاشر: مكتبـة الكليات الأزهرية ١٣٩٩هـ.
١٧ ـ «تهذيـــب الأسماء واللغــات»/ أبو زكـريا محيي الديـن بن شرف النووي، إدارة الطباعة المنيرية.
١٨ ـ «تهـذيب التهذيب»/ الحافـظ أحمد بن علي بن حجـر العسقلاني، الطبعة الأولى، ١٣٢٧هـ دائرة المعارف النظامية بالهند.
١٩ ـ «التوسل» / محمـد ناصر الدين الألباني، الطبعـة الثانية، ١٣٩٧هـ، المكتب الإسلامي.

٢٠ ـ الجامع لأحكام القرآن لأبي عبدالله محمد بن أحمد القرطبي. ط. دار الكتب العلمية.

٢١ ـ «جامع البيان عن تأويل آي القرآن»/ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: محمود وأحمد شاكر، دار المعارف بمصر. وط. دار المعرفة، بيروت ١٤٠٠هـ. وط. دار التربية والتراث بمكة المكرمة.

٢٢ ـ «الجرح والتعديل»/ عبدالرحمن بن أبي حاتم، الطبعة الأولى، دائرة المعارف العثمانية بالهند ١٣٧٢هـ.

٢٣ ـ «خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال»/ أحمد بن عبدالله الخزرجي، الطبعة الثانية، ١٣٩١هـ الناشر: مكتبة المطبوعات الإسلامية.

٢٤ ـ «درء تعارض العقل والنقل»/ شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، تحقيق: د. محمود رشاد سالم، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٢٥ ـ «الدرالمنثور في التفسير بالمأثور»/ جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، الناشر: محمد أمين دمج، بيروت.

٢٦ ـ «الرد على الأخنائي»/ شيخ الإسلام ابن تيمية، المطبعة السلفية.

٢٧ ـ «الروح»/ ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عيادة، محمد السرجاني، الناشر: مكتبة نصير بالقاهرة.

٢٨ ـ «روضة الطالبين»/ أبوزكريا يحيى بن شرف النووي، المكتب الإسلامي.

٢٩ ـ «زاد المعاد في هدي خير العباد»/ شمس الدين محمد بن أبي بكر المشهور بابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب وعبدالقادر الأرناؤوط، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ مؤسسة الرسالة.

٣٠ ـ «الزهد»/ عبدالله بن المبارك، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: دار الكتب العلمية.

٣١ ـ «سنن الترمذي»/ الإمام أبوعيسى الترمذي، تحقيق: عبدالرحمن محمد عثمان، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ، دار الفكر.

٣٢ ـ «سنن الدارمي»/ الناشر: دار إحياء السنة المحمدية.

٣٣ ـ «سنن أبي داود»/ مراجعة وضبط وتعليق: محمد محيي الدين عبدالحميد، مكتبة الرياض الحديثة.

٣٤ ـ «سنن ابن ماجه»/ تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي.

٣٥ ـ «سنن النسائي»/ الطبعة الأولى ١٣٤٨هـ، المطبعة المصرية بالأزهر.

٣٦ ـ «سير أعلام النبلاء»/ الحافظ محمد بن أحمد الذهبي، أشرف على تحقيقه: شعيب الأرناؤوط، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ مؤسسة الرسالة، بيروت.

٣٧ ـ «السيرة النبوية»/ ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبدالحفيظ شلبي، الطبعة الثانية ١٣٧٥هـ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي.

٣٨ ـ «شرح الصدور بحال الموتى والقبور»/ جلال الدين السيوطي، طبع دار إحياء الكتب العربية.

٣٩ ـ «الصارم المنكي في الرد على السبكي»/ محمد بن أحمد بن عبدالهادي، مطبعة الإمام بمصر.

٤٠ ـ «الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية»/ إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ.

٤١ ـ «صحيح البخاري»/ المكتبة الإسلامية بتركيا، ١٩٧٩م.

٤٢ ـ «صحيح الترمذي»/ محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ المكتب الإسلامي.
٤٣ ـ «صحيح الجامع الصغير وزيادته»/ محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ المكتب الإسلامي، بيروت.
٤٤ ـ «صحيح سنن ابن ماجه»/ محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ المكتب الإسلامي.
٤٥ ـ «صحيح مسلم»/ تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، الناشر: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ١٤٠٠هـ.
٤٦ ـ «صحيح النسائي»/ محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى عام ١٤٠٩هـ، المكتب الإسلامي.
٤٧ ـ «ضعيف الجامع الصغير وزيادته»/ محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ المكتب الإسلامي، بيروت.
٤٨ ـ «طبقات الحنابلة»/ القاضي أبو الحسين محمد بن أبي يعلى، تصحيح: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية.
٤٩ ـ «طبقات الشافعية الكبرى»/ عبدالوهاب ابن علي السبكي، تحقيق: عبدالفتاح الحلو ومحمود الطناحي، الطبعة الأولى ١٣٨٣هـ مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر.
٥٠ ـ «فتح الباري شرح صحيح البخاري»/ الحافظ أحمد بن علي بن حجر، السلفية ١٣٨٠هـ.
٥١ ـ «الفتح الرباني بترتيب مسند الإمام أحمد حنبل الشيباني مع مختصر شرحه بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني»/ أحمد بن عبدالرحمن البنا، الطبعة الأولى ١٣٧٧هـ.
٥٢ ـ فضل الصلاة على النبي ﷺ، الإمام إسماعيل بن إسحاق

الجهضمي، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، نشر المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة ١٣٩٧هـ.

٥٣ ـ «كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة»/ الحافظ نور الدين الهيثمي، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ مؤسسة الرسالة.

٥٤ ـ «كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس»/ إسماعيل العجلوني، الطبعة الثانية ١٣٥١هـ دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٥٥ ـ «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد»/ علي بن أبي بكر الهيثمي، الطبعة الثانية، ١٩٦٧م.

٥٦ ـ «المجموع شرح المهذب»/ محيي الدين بن شرف النووي، الناشر: زكريا علي يوسف، مطبعة العاصمة بالقاهرة.

٥٧ ـ «مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية»/ جمع: عبدالرحمن ابن قاسم، ومساعدة ابنه محمد، الطبعة الأولى، ١٣٨١هـ، مطابع الرياض.

٥٨ ـ «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين»/ ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، ١٣٧٥هـ، مطبعة السنة المحمدية.

٥٩ ـ «مستدرك الحاكم على الصحيحين مع تلخيص الذهبي»/ الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، دار الفكر.

٦٠ ـ «مسند الإمام أحمد»/ الطبعة الأولى، ١٣٨٩هـ، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، دار صادر، بيروت.

٦١ ـ «مسند الإمام أحمد»/ تحقيق: أحمد شاكر، دار المعارف بمصر، ١٣٧٥هـ.

٦٢ ـ مسند الإمام الشافعي/ الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

٦٣ ـ «المصنف»/ الحافظ عبدالله بن محمد بن أبي شيبة، تحقيق: مختار أحمد الندوي، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ الدار السلفية بالهند.

٦٤ ـ «المصنف»/ عبدالرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ، المجلس العلمي، المكتب الإسلامي.

٦٥ ـ «معجم البلدان»/ ياقوت الحموي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٦٦ ـ «المعجم الصغير»/ الحافظ أبو القاسم الطبراني، الناشر/ المكتبة السلفية بالمدينة المنورة عام ١٣٨٨هـ.

٦٧ ـ «منحة المعبود ترتيب مسند الطيالسي أبي داود»/ أحمد بن عبدالرحمن البنا، الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ، الناشر: المكتبة الإسلامية، بيروت.

٦٨ ـ «الموطأ»/ الإمام مالك بن أنس، تصحيح وترقيم: محمد فؤاد عبدالباقي، كتاب الشعب.

٦٩ ـ «وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان»/ أحمد بن محمد بن خلكان، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، الطبعة الأولى ١٣٦٧هـ مطبعة السعادة بمصر.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة